المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق

أحكام الذكر والسما
عند الصوفية
للشيخ سعيد بلبل

تحقيق وتقديم

فرحان بلبل

أحكام الذكر والسماع
عند الصوفية

للشيخ سعيد بلبل

المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق
ص ب ٣٤٤ دمشق، سورية
هاتف : ٣٣٣٠٢١٤ (١١ ٩٦٣) - فاكس : ٣٣٢٧٨٨٧(١١ ٩٦٣)
Internet : www.ifead.org
e-mail : publications@ifead.org

PIFD 199
ISBN 2-901315-76-3

المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق

أحكام الذكر والسماع عند الصوفية للشيخ سعيد بلبل

تحقيق وتقديم
فرحان بلبل

دمشق
٢٠٠٢

تقديم

من أوائل ما تعيه ذاكرةُ الطفولة (حلقة الذكر) التي كان يقودها عمي المرحوم الشيخ سعد الدين. الزمان مساء كل خميس. والمكان بيتنا الذي يتوسط حي الصفصافة. وهذا الحي يتوسط أحياء مدينة حمص القديمة.

كان لهذه الحلقة غرفة كبيرة تسمى (الزاوية). وهي تقع أمام مدخل البيت. يفصلها عنه جدار خشبي يُغلق بابه فتنفصل الزاوية عن بقية الغرف. وكانت الأنوار تشعشع في الغرفة الزاوية. ويتوهج معها منقل الفحم بالنار والدفء وتسخين القهوة المرة.

كان عمي في النهار يحمِّص القهوة فتفوح رائحتها الحريفةُ في البيت كله. ثم يدقها في جرن خشبي يرنُّ بضربات منتظمة يتحول معها تحضيرُ القهوة إلى حفلة موسيقية إيقاعية ينتظرها أهل البيت ويترنمون بها ويحاول أطفال البيت تقليدها. فإذا نجحوا في توقيع الضربات سارعوا إلى التباهي أمام الشيخ. فتنفرج شفتاه عن ابتسامة جميلة مشجِّعة ما زلت أذكر صفاءها حتى اليوم. فإذا أقبل المساء، أُغلق الباب الخشبي وفُتح باب البيت على مصراعيه وبدأ الرجال بالتوافد. فإذا اكتمل عددهم، بدأت حلقة الذكر.

عمي الشيخ يقف وسط الحلقة. ويبدأ الرجال يتمايلون بهدوء إلى الأمام والخلف وإلى اليمين واليسار في حركات موزونة معينة. وهذه الحركات يضبطها الشيخ بصفْق باطن يده اليمنى على ظاهر يده اليسرى صفقاً بطيئاً رتيباً خفيضاً. وفي أثناء ذلك تبدأ الهمهمة تدوِّم في الزاوية (ألله. ألله. هوُألله هو). ثم تتسارع صفقات يديه وتقوى فتتسارع الحركات وتعلو الأصوات. وإذا بمجموعة منهم ترتفع أصواتُها بإنشاد يتفرَّد فيه واحدٌ منهم بصوت صادح مطرب، في حين تنخفض الأصوات بكلمة (ألله. ألله) ويرافقها الإنشاد الجماعي ليشكل مع كلمة الذكر بطانةً خلفيةً للإنشاد الذي يشكل بطانة خلفية للصوت الإفرادي الصادح. وكان ذلك - كما أدركت فيما بعد - نوعاً من الهارموني الذي تجتمع فيه توافقاً وتبايناً ثلاثةُ أصوات. وكثيراً ما كان بعضهم يتناول الدفوف

الكثيرة المعلقة على الجدار. فتترافق الأصوات المتعددةُ الموقَّعةُ الموزَّعةُ كلاماً منغوماً وإنشاداً وصداحاً بنقرات الدفوف المدهشة. فتتحول الحلقةُ كلها إلى أنغام أعمق وأجمل تخلق جواً مهيباً شاعرياً تسبح فيه نفوس المنشدين في حالة من الوجد هو ما يسمى وجد الصوفية.

وإذا كنت في الذاكرة المبكرة للطفولة أجلس في الغرف الداخلية في حضن جدتي والنساءُ من حولها ينصتن إلى الإنشاد، فإني في الذكريات التالية أقف مع بقية الأطفال في عتبة الزاوية ونحن نراقب ونسمع. وكانت نظرات عمي الشيخ لا تغيب عن مجموعة الأطفال حتى لا يصدر عنهم صوت أو يقومَ أحدهم بفعل صبياني لا يليق.

لم أكن يومها أعرف أن عمي ورث حلقة الذكر هذه عن والده الشيخ سعيد الذي ورثها عن والده الشيخ يحيى. ولم أكن أعرف أن هذه الحلقة بما فيها من حركات وإنشاد وضرب دفوف هي تهجد صوفي يمارسه أصحابه على الطريقة السعدية[1]. لكن هذه الحلقة كانت أول ثقافة فنية موسيقية تلقيتها منذ أوائل الطفولة دون أن أعلم أن هؤلاء المنشدين كانوا من كبار الموسيقيين في مدينة حمص، وأنهم كانوا يتمتعون فيها بشهرة فائقة ومكانة عالية. وهم في الغالب أولاد وأحفاد المنشدين في حلقة الذكر أيام الشيخ يحيى.

ثم توقفت حلقة الذكر وأنا على مشارف الفتوة بانتقال عمي الشيخ إلى بيت جديد خاص به ليس فيه زاوية. لكن الأسرة ظلت تتناقل أخبار الشيخ سعيد. ثم صرت أسمع عن هذا الشيخ من أهل حمص أخباراً ونوادر وطرائف. فقد كان زينةَ المجالس فيها بحديثه العذب الجميل. وكان لقب (البلبل) وصفاً لجمال كلامه وطلاوة حديثه. وهي وصف التصق بأبيه وبجده من قبله. فلما أنشئت دائرة الأحوال الشخصية في عهد الانتداب الفرنسي تم تسجيل الشيخ سعيد وأولاده بلقب بلبل بعد أن نُسي الاسم الأصلي.

ولم يكن عمي الشيخ سعد الدين يُكثر من التحدث عن والده لأن غمامة من الحزن كانت تُرى على وجهه كلما ذُكِر أمامه. فكأن تطاول الأيام لم يمسح ألمه على فقده. لكن أقران الشيخ

١- مؤسس هذه الطريقة سعد الدين بن يونس الشيباني الجباوي (ولد ٤٦٠هـ = ١٠٦٨م) خرج في بدء أمره من قطاع السبيل. ثم تاب وتنسك وأقام مع أبيه في زاوية في دمشق واشتهر. توفي في قرية جبا سنة ٥٧٥هـ ١١٧٩م ودفن في رواقه الشهير. وأول من أدخل الطريقة السعدية إلى حمص هو الشيخ علي سعد الدين عام ١٠٢٧هـ/ ١٦١٨م.

سعيد وتلاميذه كانوا لا يملون من الحديث عنه وعن نوادره وطرائفه المرحة . ومنها أنه وقف مرة عند بقال الحارة وأمامه وعاء دبس طازج . فسأله الشيخ (بكم دبسْك ؟) ولعق منه لعقة كبيرة . ثم سأله (من أين اشتريته ؟ وبكم اشتريته ؟ وما نوع عنبه ؟ وكيف عصرته ؟ وكيف وصلك ؟) . ومع كل سؤال كان الشيخ يغرف تلك اللعقة الكبيرة والبقالُ ينظر إليه بغيظ مكتوم بينما كان أبناء الحارة يراقبون هذا المشهد بين الشيخ وبين البائع وهم يخفون ضحكهم . وبعدما لعق الشيخ أكثر من نصف الكمية جاءت امرأة تسأل عن الدبس . فانفجر البقال قائلاً (انتظري حتى نعرف ماذا سيترك الشيخ) . فضجَّ أبناء الحارة بالضحك . وضحك معهم البقال الذي أعطاه الشيخ ثمن كمية الدبس كاملة .

ويتذكر أبناء حمص كثيراً من خصوماته التي كان فيها يعنُف . ومن أخباره التي كان فيها يرقُّ ويلطُف . لكنهم يتذكرون بشكل خاص سرعةَ بديهته الخارقة وأجوبتَه المحكمة في مسائل الدين والفقه والحديث النبوي وتفسير القرآن . ويستدلون على ذلك بحادثة طريفة . فقد كان مرة راكباً حمارته البيضاء فاستوقفه رجل وسأله عن مسألة فقهية دقيقة عويصة . فأجابه عليها الشيخ مباشرة مورداً أدلته في الجواب قرآناً وحديثاً نبوياً وسرداً لآراء الفقهاء والرجلُ ممسكٌ برسن الحمارة . فلما استكمل الشيخُ الجوابَ لكز حمارته ومضى في سبيله . ولكن الرجل لم يقنع بجواب الشيخ وظنه مستعجلاً بالجواب . فذهب إلى عالم آخر وسأله المسألة نفسها . ولم يستطع العالمُ الإجابةَ إلا بعد أن استشار كتبه وأصحابه . ثم جاء الجواب مطابقاً لجواب الشيخ . فعاد الرجل إليه معترفاً بتقصيره في حقه . فقال له الشيخ (استهنت بجبتي العتيقة الفقيرة . وغشتك الجبة الجديدة الثمينة . وهذا هو الضلال) .

رغم كل هذه الذكريات لم يكن الشيخ سعيد إلا جداً كريماً فقيهاً محدثاً ظريفاً مات وأنا في السنة الأولى من العمر . ويتوقف الاهتمام به عند تذكره بافتخار علمي حيناً، وبلذةٍ عائلية يعرف طعمَها الجميل كلُّ أسرة تجتمع وتتبادل أخبار الأهل الغابرين في تشوُّفٍ يَسُرُّ أسماعَهم حيناً آخر . وكنت أعرف أن الشيخ سعيد شاعر . فقد أطلعني عمي على ديوان شعري له مخطوطٍ في مكتبته وكنت يومها في السابعة عشرة . وكنت أخوض في ديوان الشعر العربي من جاهليِّه إلى عباسيِّه إلى معاصرِه . وأحفظ منه مئات الأبيات في إلحاح يغذّيه عنفوانُ الشباب ونهمُ العلم . وعندما قرأت الديوان المخطوط وصفته لعمي بأنه من (شعر الفقهاء) . وكان هذا النوع من الشعر عندي في مرتبة متدنية لأن أصحابه يهتمون بالحكمة والموعظة دون كبير اهتمام بالبناء الشعري . وقارنت لعمي بين

صياغتهم للحكمة وبين صياغة زهير بن أبي سلمى والمتنبي وأبي تمام للحكمة في تعالمٍ متخابثٍ لا يتقن أمثالَه إلا الفتيان. فنظر إليَّ عمي نظرة عابسة حليمة وهز رأسه دون كلام وطوى عني الديوان. فلما استوفيت من عمري ثلاثين عاماً طلبت الديوان منه فلم يجده. ثم توفي وتفرقت مكتبته. وبدأت ذكرى الشيخ سعيد تتضاءل حتى أصبحت لديَّ ولدى أولادي وأقرانهم - وهم أحفاده - مجرد ذكرى باهتة في أقاصي الذاكرة لا تلبث الأيام أن تطويها. لكن ضمير الغيب كان يُخفي أمراً مقدَّراً لي وللشيخ سعيد. فقد توفي عمي أديب عام ٢٠٠١ وضم الأسرة مجلسُ التعزية. وإذا بواحد من أبناء عمي الشيخ سعد الدين يقدم لي نسخة مصورة من كتاب لجده الشيخ سعيد. فقرأت الكتاب بنوع من الاطلاع العادي. لكني ما كدت أوغل في قراءته حتى أدهشني موضوعه. فقد وجدت فيه مادة فقهية دينية تاريخية. فعملت على تحقيقه ونشره.

أهو إحياء لتراث عائلي يجد لنفسه امتداداً عاماً؟ ربما كان ذلك.

أهو إضافة ثقافية ووثيقة تاريخية؟ أعتقد ذلك. فهذا الكتاب يضاف إلى الدراسات في ميدان التصوف الإسلامي وطرائقه خاصة وأن المتصوفة كانوا يعتبرونه دليلاً لهم حتى النصف الأول من القرن العشرين. وكانوا يرون فيه عاصماً لهم من الانحراف والتحريف والخروج على طرائق الصوفية. وكانوا يتبادلون قراءته ودراسته في حلقاتهم.

* * *

بدأت أسرة آل بلبل تكتسب صفة (العلم) منذ أوائل القرن التاسع عشر بظهور عميدها مصطفى درباس بلبل. وخلفه ابنه سعيد الذي كان عالماً جليلاً وأديباً بليغاً. وهو أول من انتسب إلى الطريقة السعدية الجباوية على يد الشيخ سليمان بن خالد السعدي الجباوي. ثم خلفه ابنه يحيى الذي كان من رجال العلم والمعرفة متمكناً من اللغة العربية وعلومها. وكان سريع البديهة بارعاً في ارتجال الطرائف الأدبية. فكانت صفة (البلبل) من أخص صفاته التي كان أهل حمص يبذلونها له بمحبة وارتياح. وأخذ الطريقة السعدية الجباوية عن والده ثم عن الشيخ قاسم بن الشيخ محمد السعدي الحولاني. وانتظم في موكب خميس المشايخ. يقول عنه الشيخ سعد الدين الجباوي[٢] (بعد ذلك

٢- هو حفيد سعد الدين الجباوي مؤسس الطريقة. وكان له زاوية معروفة في بستان الديوان في حمص ماتزال موجودة حتى اليوم. وقد بناها له السلطان عبد الحميد الثاني. وكان عالماً جليلاً معاصراً للشيخ سعيد بلبل. والنص المنقول مأخوذ عن كتاب يعده محمد غازي حسين عن جده لأمه الشيخ الجباوي.

تخلف الشيخ يحيى بلبل. فأخذ الطريقة عن الشيخ قاسم الحولاني وخرج بالسيارة خلف الشيخ أحمد السعدي بثلاث نوبات وثلاثة صناجق وخمسة أعلام)[٣].

تولى الشيخ يحيى عدة مناصب دينية هي الإشرافُ على الفراشين في الجامع النوري الكبير وجامع خالد بن الوليد، وإمامةُ مسجد دار الحكومة بالحجة المؤرخة في ٢ شعبان ١٣٠٤ هـ ١٨٨٦م. وأُسندت إليه تلاوة الأوراد والأذكار السعدية في بيته وفي جامع خالد بن الوليد بموجب الحجة المؤرخة في ١٢ جمادى الأولى عام ١٣٠٢ هـ ١٨٨٥ م. ومنحه السلطان عبد الحميد الثاني عدة أوسمة منها الوسام المجيدي من الدرجة السابعة. والوسام المجيدي من الدرجة الثالثة. وتوفي حوالي عام ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م.

أما ابنه الشيخ سعيد فقد ولد حوالي عام ١٨٧٤ م. وكان بعد وفاة أخيه وحيدَ أبويه لبناتٍ أربع. تعلم على يد والده الشيخ يحيى ثم على علماء حمص الكبار الذين منحوه عدة إجازات علمية بما تلقاه عنهم ومنها (إجازة في شرح صحيح البخاري للعلامة القسطلاّني). وقد تلقى هذه الإجازة من الشيخ محمد خالد الأتاسي مفتي حمص. وذلك في ربيع الأول ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م. وقرأ على الشيخ توفيق الأتاسي مفتي حمص وغيره من العلماء. وأخذ الطريقة السعدية عن والده. وتولى وظائفه الدينية وإقامة الأذكار والأوراد في بيته وفي جامع خالد بن الوليد.

تزوج ابنة الشيخ ياسين السقا وأنجب منها ثلاثة ذكور هم يحيى وعبد الرحمن وسعد الدين وابنتين. ثم توفيت فزوَّجه الشيخ ياسين ابنته الثانية، وأنجب منها ثلاثة ذكور هم زكريا وأديب وشكيب وابنة واحدة. وكانت الزوجة الثانية امرأة صالحة ملأت عليه البيت حباً وحناناً وعطفاً في أثناء حياته وبعد مماته. فلم أعرف أنها ليست جدتي وأنها أختها إلا وأنا طالب في سنتي الجامعية الأولى. وقد مات عبد الرحمن - وهو والدي - شاباً. فلم يتحمل الشيخ سعيد هذا المصاب

٣- خميس المشايخ احتفال ديني يعود - كما يقال - إلى أيام صلاح الدين الأيوبي. وكان يقام في جميع المدن الإسلامية. ثم انحسر عن العالم الإسلامي وبقي في حمص وحدها حتى نهاية خمسينات القرن العشرين. وفيه يخرج المشايخ في موكب يتألف من عدة سيارات. والسيارة مؤلفة من شيخ يركب حصانه وحوله مريدوه وتلاميذه وهم يحملون عدداً معينا من الأعلام والرايات التي تسمى السناجق أو الصناجق مفردها سَنجق أو صنجق. وكان موكب الاحتفال يبدأ بالقرب من قلعة حمص ويسير حتى قرية بابا عمرو حيث ينتهي بالصلاة عند ضريح الصحابي الجليل عمرو بن معديكرب. وكانت كل سيارة تسير ثم تتوقف في نوبة. والنوبة ضرب بالدفوف وإنشاد.

فانهارت قواه وتوفي بعده بأقل من شهرين. فخلفه ابنه سعد الدين في وظائفه الدينية وفي إقامة الأذكار. وتوفي عام ١٩٦٨.

* * *

أول ما يلفت النظر في كتاب الشيخ سعيد أنه عن التصوف عموماً وليس شرحاً للطريقة السعدية التي ينتسب إليها. والكتاب في مجمله دفاع مستميت عن التصوف وطرائق الصوفية في تلقّي العهد تلميذاً عن شيخ وعن إقامة الأذكار في حلقات الذكر. فكأنه ضبطٌ للمراسم ولأصولها وتحديدٌ لقواعدها ومراحلها. فهو يبدأ بالوقوف عند كلمة (لا إله إلا الله) التي هي قوام أذكار الصوفية ومرتكزُ جميع ما يقوم به المتصوفة من أفعال وإنشاد. فيدقق في مخارج حروفها وصحة نطقها حتى لا يكون أثناء الذكر بها عِوَجٌ أو اختلالٌ يخرج بالكلمة عن معناها. ويحبِّب أذكارَ الصوفية إلى الناس. فإن لم يكن الإنسان من أهل التصوف وجب أن يكون معاشراً لهم لأن المرء يُحشر مع من أحب. ثم يقف عند أصول قراءة الأوراد على الوجه الذي يراه صحيحاً سراً وجهراً. وهي صحة مطلوبة لصفاء النفس وسلامة الجسد. ثم يتناول حركات الصوفية مُسنِداً صحتها إلى الشريعة. ثم يتحدث عن الإنشاد وضرب الدف. ويسوقه ذلك إلى الحديث عن الغناء فيفصل الكلام عن حرامه وحلاله ويصل إلى رأي شرعي يحسن برجال الدين اليوم أن يعودوا إليه لعلهم يجدون حلاً لمشكلة (الفن) الذي هو ظاهرة اجتماعية لا بد أن توجد في كل زمان ومكان لأنها الوجه الحضاري للبشرية. وأعتقد أن رأيه حول الغناء - والغناء واحد من الفنون - من أدق الآراء الدينية وأنضجها. وقد سار فيها برهافةِ حسٍ وعمقِ تدينٍ ونصاعةِ تفتحٍ حضاري. فإذا استوفى ذلك انتقل إلى الرقص والضرب بالدف - وهما من أرهف تقاليد الصوفية - فأباحهما بدليل شرعي بالغ الدقة. ولعل أمر الرقص والغناء كانا يلحان عليه بسبب تفاوت الآراء حولهما وتناقضها. فعاد إليهما مرة ثانية مبيناً شرعية الحلال منهما من خلال مناقشة فقهية علمية. فإذا استوفى ذلك انتقل إلى أركان حلقة الذكر التي يضبطها التصفيق حتى لا يشذَّ نغم أو ينشزَ صوت. ثم ينتقل إلى علاقة الشيخ الصوفي بمريده فيتحدث عن مراحلها الثلاث وهي التلقينُ والعهدُ والوصيةُ محدداً في كل مرحلة مجموعةَ الأقوال والأفعال التي يتم بها دخول المريد الجديد ميدان التصوف مؤكداً على ضرورة أن يكون المريد متفقهاً عالماً لا مجرد متصوف. ثم يدافع عن حلقات الذكر ذائداً عنها

استهانةَ المخالفين الذين يصل بهم الأمر إلى حد تكفير أهل التصوف ومؤكداً صحة الرقص والإنشاد. وفي هذا القسم يبلغ دفاع الشيخ عن أحوال الصوفية ذروته في حرارةٍ وقوةٍ تشعان لهيباً. فترتفع النبرة وتسمو اللغة دون أن يخرجه ذلك عن الضبط المنطقي المحكم المستند إلى الدلائل الشرعية. وهذا الضبط المنطقي المحكم هو الذي ينْظِم الكتاب من أوله إلى آخره.

ولكي يؤكد الشيخ آراءه ودفاعه الحارَّ عن الصوفية فإنه لم يُسند آراءه إلى نفسه بل ردها إلى الصحابة والفقهاء والعلماء. فأورد عشرات النقولات عن كتب الفقه والتفسير والحديث النبوي والتصوف وعلوم التوحيد. ولم ينقل عن مذاهب السنة الأربعة فقط. بل استند إلى بعض أقوال الشيعة الزيدية والشيعة الإمامية وبعض المعتزلة. وهؤلاء الذين استشهد بهم عاشوا في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه، وفي عصور الإسلام كلها. فكأنه أراد أن يجعل التصوف نبراس المسلمين في شتى مذاهبهم التي إن اختلفوا في فروعها الفقهية فهم يتحدون على قاعدة (ولَذكرُ الله أكبر). وكأنه أراد أن يحوط الصوفية بسياج متين من نتاج الفكر الإسلامي على امتداده الزماني والمكاني. وهذه مهمة جليلة استدعته أن يطلع على ما يقرب من مئة كتاب. وإذا تذكرنا أن أكثر هذه الكتب كانت مخطوطة يصعب الرجوع إليها، أدركنا أن الشيخ نهض بهذه المهمة فكان جديراً بهذا النهوض[٤].

ثم يُنهي الكتاب بذكر نسبه الروحي الذي تلقى به عن شيوخه مذهبَه التصوفي. وهو نسب يبدأ به وينتهي بجبريل عن الله. ثم يذكر نص إجازته العلمية التي تشبه ما نسميه اليوم بالدراسات العليا. وكما استشهد بأقوال الغابرين فقد جمع تقاريظ المعاصرين لكتابه. ولم تكن غايته مدحَ كتابه بل كانت استيثاقاً من علماء عصره لصحة التصوف ومكانة المتصوفين.

وعلى الرغم من أن الشيخ كتب كتابه على طريقة القدماء أسلوباً وسرداً، فإن تأثيرات التأليف المعاصر واضحة عليه. . فقد قسم كتابه إلى موضوعات محددة وضع لها عناوينها. ودار في فلك كل موضوع فلم يستطرد على الإطلاق. ووضع في النهاية فهرساً لموضوعات الكتاب مشيراً إلى أرقام الصفحات. فكأنه جمع بين التقليدية والمعاصرة. وقد انتهى من تحرير كتابه في غرة شعبان ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م.

---

٤ - لم نجد ضرورة لمطابقة نقولات الشيخ على الأصل. فقد دققها مشايخه والمقرظون لكتابه. ويمكن لمن يريد أن يعود إلى هذه النقولات حسبما ذكر الشيخ.

لكن كل ما تقدم لا يعطي كتاب الشيخ أهميته إذا لم نضعه في موازين عصره ولم ندرك سبب تأليفه له .

* * *

من المعروف أن السلطنة العثمانية اعتمدت على رجال الدين لتأييد حكمها . وكان أكثرُ اعتمادها على المتصوفة الذين ينسحبون من عراك الحياة ويؤيدون أولي الأمر ويتمتعون باحترام الجماهير العريضة التي تراهم خيراً وبركة فتدين بولائهم .

وقد أقامت السلطنة لرجال الصوفية الزوايا والتكايا في أنحاء الامبراطورية الواسعة . وكان لهم في ديوان السلطان مشرف يلبي حاجاتهم ويتيح لهم مقابلة السلطان عند الضرورة . وكلما كانت الامبراطورية يزداد تزعزعُها كان اهتمام السلاطين بالصوفية ورجالها يزداد .

ومعروف أن الدولة العثمانية في هزيعها الأخير بلغت من الضعف درجة سميت معها (الرجل المريض) . وبمقدار تهاويها في حمأة الضعف والتخلف كانت قبضتها على أقاليم الامبراطورية تزداد إحكاماً وصرامة . وأدى ذلك إلى ظهور دعوات التحرر من ربقتها والتي بدأت تنتشر في أنحاء الامبراطورية . فبعد أن انفصلت عنها أجزاؤها الأوروبية أخذت أقطارها العربية تتململ . فبدأت تظهر حركات ثورية دينية حيناً وعلمانية حيناً . وبرزت هذه الحركات بشكل قوي في المرحلة الأخيرة من عمر السلطنة وتحديداً مع مجيء عبد الحميد الثاني إلى سدة العرش .

والسلطان عبد الحميد آخر السلاطين الأقوياء . وقد وصل إلى العرش بغية ضبط أركان الامبراطورية التي كانت تدوِّم بالثورة وتغلي بالتغيرات . فحاول أن يقوي فرائص الدولة بتقوية الجيش مستعيناً بخبراء من الجيش الألماني القيصري ، وبضبط الولايات بولاة أقوياء ، وبملاحقة رجال الفكر والأدب . ورافق ذلك الاهتمامُ برجال الدين المتصوفة . فبدأ صراع عنيف بين اتجاهين دينيين . أولهما يدعو إلى تجديد الفكر الديني واستنباط القوة فيه للتحرر من الاحتلال العثماني . وبرز في هذا الاتجاه عدد من الشخصيات نذكر منهم جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبدو وعبد الرحمن الكواكبي وعبد الحميد الزهراوي . وشن هؤلاء حملة عنيفة على السلطنة العثمانية ففضحوا طبائع استبدادها وفضحوا أسس الدولة المنخورة . وثانيهما صوفي مستسلم مستكين يدافع عن السلطنة .

وإذا كان الاتجاه الأول يقف ضد الدولة العثمانية والثاني يقف معها، فقد كان من طبيعة الأمور أن يقع التصادم بينهما. فلجأ الأول إلى تسفيه الثاني واتهامه بما يعيبه حتى يفقد مكانته الاجتماعية وحتى يتحول المريدون المستكينون لسلطة الدولة إلى ثوار عليها. وكان من طبيعة الأمور أيضاً أن تهاجم الدولةُ أصحابَ الاتجاه الأول وأن تدعم أصحابَ الاتجاه الثاني. ففي حين يموت جمال الدين الأفغاني مسموماً بإيعاز من السلطان القوي وأن يُشرَّدَ الكواكبي وتعطَّل صحفه وأن يكون مآل الزهراوي فيما بعد على حبل المشنقة، كان الشيخ يحيى بلبل يدخل على السلطان نفسه دون استئذان وينال منه الأوسمة. وفي حين كان السلطان يلاحق أصحاب الاتجاه الأول، كان يبني زاويةَ الشيخ سعد الدين الجباوي في حمص ويجدد جامع خالد بن الوليد ويرسم له حلقةً رسميةً لإقامة الأذكار. وكان ذلك مدعاةً لأصحاب الفكر التحرري أن يشددوا النكير على الصوفية ورجالها لأن ذلك جزء من الحرب الفكرية والسياسية الدائرة بين السلطنة وبين الاتجاه التحرري. ورغم تشديد النكير هذا، فإن رجال الصوفية لم يتأثروا كثيراً لأن لهم من دعم السلطان ومن التفاف الناس حولهم ما يحميهم.

لكن الامبراطورية العثمانية تسقط بعد الحرب العالمية الأولى (السفر برلك) التي لاقى فيها العرب - والسوريون على الخصوص - ويلات الجوع والموت في ساحات المعارك في الأراضي الغريبة وفي الوطن.

وهذه الحرب التي عصفت بأنحاء الإمبراطورية وتفجرت منها الثورة العربية الكبرى انتهت لا إلى زوال السلطنة العثمانية فحسب، بل وإلى تغيرات هائلة في البنية الاجتماعية العربية ومرتكزاتها الفكرية والسياسية والاقتصادية والقانونية. ثم جاء الانتداب الفرنسي فتسارعت خطوات التغيير حين أخذ المجتمع السوري ينتقل من الإقطاع إلى البورجوازية التي نشأت في أعقاب الحرب العالمية الأولى. وكان لا بد أن تبدأ العلاقات الاجتماعية بالتغير. فلم يعد التشريع الإسلامي مصدراً وحيداً لتنظيم الحياة. وأخذت القوانين الوضعية تحوط مجملَ التغيرات التي حدثت وتمهد لتغييراتٍ في طريقها إلى الحدوث. وكان لابد أن ينتهي ذلك كله إلى إصدار القانون المدني في منتصف القرن العشرين ثم قانون الأحوال الشخصية بدلاً عن مجلة الأحكام العدلية العثمانية.

في ظل هذه التغيرات واجهت نزعةُ التصوف حرباً معلنةً سافرةً حيناً وحرباً خفيَّةً حيناً. وكانت هذه النزعة في موقف الضعف بعد أن كانت في موقف القوة. فإن زوال الامبراطورية العثمانية

سحب عنهاالغطاءَ السياسيَّ الذي كان يحميها . وبغياب الغطاء السياسي تزعزعت مكانتها الاجتماعية . كما أن الثورة العربية اكتسحت استكانةَ الصوفية واطمئنانَها إلى زواياها التي كانت فيها تلهج بذكر الله . فكان طبيعياً بعد هذا أن ينزل المتصوفة عن كثير من مكانتهم السابقة من ناحية ، وأن تضطرب حلقاتُ الذكر وأن تدخلها التغيرات من ناحية ثانية . فكأن هؤلاء المشايخ المتزهدين المستكينين الساكنين يتلفتون حولهم فيجدون الأرض قد مادت تحت أرجلهم . فيحاولون جمع شتاتهم فلا يستطيعون وقد وقعوا بين تشديد النكير من رجال الفكر الإسلامي عليهم من جهة ، وبين زحزحة العلمانية والوضعية لمكانة الفقه الإسلامي من جهة .

في هذا العصر الانقلابي عاش الشيخ سعيد بلبل . فقد عاصر أيام العز السلطاني . ورأى والده وهو يتلقى الوسامين من السلطان عبد الحميد كما رأى أقران والده وهم يتصدرون الحياة الاجتماعية والدينية . وورث هذه المكانة عن والده وهو في ريعان شبابه . وعاش سلسلة التغيرات التي أطاحت بمكانته ومكانة الصوفية . ومع أنه لم يكن يطمح إلى مال أو جاه فقد كان يؤذيه أشد الإيذاء أن تنحط مكانة الصوفية وأن تضطرب تقاليدها وأصولها وأن تنحرف عن الطريق القويمة التي كان يراها لها . وكان في الوقت نفسه يخشى على مكانة الدين في المجتمع أن تزحزحه النزعة العلمانية . فقام يجابه ذلك كله بما يملك من أسلحة اجتماعية وثقافية . وهي أسلحة استخدمها بعناد صلب كان معروفاً به في المواقف الحاسمة .

أولُ هذه الأسلحة أنه كان يدعو إلى التوافق والتوحد بين المذاهب الإسلامية المختلفة . وقد تكون هذه الدعوة اليومَ مطلوبةً مرغوبةً محموداً داعيتُها . لكنها في الربع الأول من القرن العشرين كانت محفوفة بالمخاطر . ولعلنا ندرك خطرها إذا تذكرنا أن صلاة الشافعي أو المالكي خلف من إمام حنفي أو حنبلي كان أمراً محرجاً . فكان صديقاً لمشايخ المذاهب كلها . وكان بينه وبين مشايخ الشيعة صداقةٌ تتحدى التنافر بين المذاهب . وكان الحديث بينه وبينهم يدور حول تقريب وجهات النظر . ومن هذا المنطلق جاءت نقولاته في كتابه بهذا الشكل الموسوعي من مختلف المذاهب الفقهية .

ثاني أسلحته أنه كان يدعو إلى التمسك بأهداب الدين كائناً ما كان هذا الدين أو كانت مذاهبُه . ولذلك كانت له صداقات مع عدد من رجال الدين المسيحي الذين كان يتبادل معهم الزيارات

ويعقد معهم حوارات طويلة لا ينبري فيها أحد للدفاع عن دينه بل كان يبدي وجهةَ نظره في جعل الدين سياجاً للحياة ونبراساً لصَوْن الأخلاق . وتجلَّت هذه الدعوة أصلا ركيناً في كتابه .

ثالثُ هذه الأسلحة أنه كتب كتابه دفاعاً عن الصوفية عموماً وليس وصفاً لطريقته السعدية التي ينتسب إليها . وكانت غايته إثباتَ أهميتها في وجه المعارضين وفي وجه المنحرفين . ولكي يقوم بهذه المهمة حشد في كتابه الحجج والدلائل والبراهين التي سبق الحديث عنها . وإذا كان كتابه يدل على ثقافته الواسعة ، فإنه يدل أيضاً على أنه شحذ كل أسلحته وهو يخوض معركة البقاء للصوفية والتصوف بعدما جرى على صفحة الحياة من تغيرات . ولعل ذروة دفاعه التي تلخص كتابه ما نقله عن المناوي في شرح الجامع الصغير عن (فضل ملازمة الصوفية للزوايا والربط على الوجه المعروف . فكما يدفع الله بالمرابطين في الثغور عن المسلمين اقتحامَ العدو ، كذلك يدفع الله بأهل الزوايا المجتمعين على الذكر والطاعة أنواعَ البلايا . ويعود نفعُ ذلك على البلاد والعباد) . ويضيف إلى هذا الفضل العام للصوفية شرحاً لرمز الخرقة بأنها ستر عورة الكذب بلسان الصدق . وستر عورة الخيانة بثوب الأمانة وغض البصر وحسن الأدب وغير ذلك من الصفات التي تجعل الصوفي مثالاً رفيعاً للمواطن . فكأنه يقول : كونوا صوفيين تغنموا .

لكن هذا ليس كل ما يمكن استنباطه من الكتاب . فإن موقفه من فن الموسيقى والغناء أشدُّ ضراوة في مواجهة الخصوم .

من المعروف أن فن الموسيقى والغناء كان حتى نهاية القرن التاسع عشر وأول العشرين بين أيدي المشايخ من رجال الدين . وإن مراجعةً بسيطةً لتاريخ الموسيقى العربية تدلنا على أن أعلامها كانوا منهم . ففي مصر مثلاً كان الموسيقيون والمغنون من مشايخ الأزهر . ولم يكن الشيخ سلامة حجازي والشيخ سيد درويش آخرَهم . وفي سورية كانت حلب تأخذ مكانتها الموسيقية الكبيرة من عدد كبير من المشايخ كان منهم نفر كبير من آل الدرويش والبكري والكردي . وفي دمشق لم يكن (جوق) الشيخ أبي خليل القباني يضم عدداً من المشايخ فحسب ، بل كان يلتقي بكبار المشايخ الموسيقيين في سورية ويأوي إليهم حين اضطهدته السلطة العثمانية لموقفه السياسي في مسرحه . وفي حمص كان الشيخ عبد الهادي الوفائي موسيقيا ومسرحياً أدخل الغناء في مسرحه . وكذلك كان الشيخ محمد خالد الشلبي الأديب الصحفي الشاعر المسرحي . ولو رحت تدرس بقيةَ المدن السورية أو حالَ بقية الأقطار العربية لوجدت الموسيقى بين أيدي رجال الدين فيها .

يومها كانت الموسيقى تنتشر في البيوت على المستوى الشعبي وفي الصالونات على المستوى الرسمي. وكان المشايخ يحمونها من الوقوع في أحابيل الشيطان. فكانت طرباً حلالاً يدخل حلقات الذكر الصوفية. ومع أنه كان يوجد نوع آخر من الموسيقى والغناء مرتبطٌ بما يسميه رجال الدين مجالس الفسق والفجور، فإنه لم يكن معترفاً به. وكان نوعاً من اللهو الذي يمارسه الفتية والشباب في أيام جهالتهم ثم يتوبون عنه. فلم يكن مقياساً لفن الغناء.

لكن التغيرات السياسية والاجتماعية أفرزت نوعاً جديداً من الموسيقى والغناء يلازم المجتمعات في النظام الرأسمالي منذ بداية نشوئه، ويستفحل مع ازدياد قوته ورسوخه؛ وهو فن الملاهي الذي يصبح موازياً لفن البيوت والصالونات في بداية الأمر. ثم يصبح طاغياً على فن الحفلات في صالات المسرح فيما بعد، والذي يصبح بالتدريج بديلاً عن الموسيقى الراقية، والذي تحميه الدولة بقوانينها وشرطتها. وهذا أمر نراه يستفحل في سورية وفي الوطن العربي منذ الهزيع الأخير من القرن العشرين. ومع انتشار هذا النوع مع الانتداب الفرنسي ودخول البلاد في مرحلة التصنيع ونشوء البورجوازية أصبح فن الموسيقى والغناء أحبولةً شيطانيةً لا يمكن التصدي لها. فظهرت الفتاوى بتحريم الغناء. ثم صار هذا التحريم فتوى عامة شائعة ماتزال تكبر مع ازدياد أهمية موسيقى الملاهي التي تكاد تصبح الوجه الأوحد لفن الموسيقى على امتداد الوطن العربي، ولم يعد فناً محمياً بقوة الدولة وقوانينها فحسب، بل أصبح النوع الوحيد الذي تتباهى به الدول العربية وتروجه. وإذا بالمشايخ الذين كان أسلافهم حملةَ فن الموسيقى والغناء وحماتَه، يصبحون أعدى أعدائه محمِّلين الشريعة الإسلامية ما ليس فيها.

لكن الشيخ سعيد الذي وقف مدافعاً عن الصوفية في كتابه لأنها نزعته في الحياة، وقف مدافعاً عن الغناء لأنه ركن من أركان الصوفية، ولأنه أراد تثبيت الفتوى بشرعية الغناء دون أن يُخيفه النوع الفاسق الذي ظهر. وكانت حجته في ذلك أن كلَّ شيء حلالُهُ حلالٌ وحرامُهُ حرامٌ. واستولد من هذه القاعدة تحليل الغناء على الوجه الذي ذكرنا مجمله ويجد القارئ تفصيله في الكتاب. وجعل عنوان كتابه (أحكام الذكر والسماع). فكان في موقفه هذا أكثرَ شجاعةً من موقفه في دفاعه عن التصوف والصوفية.

* * *

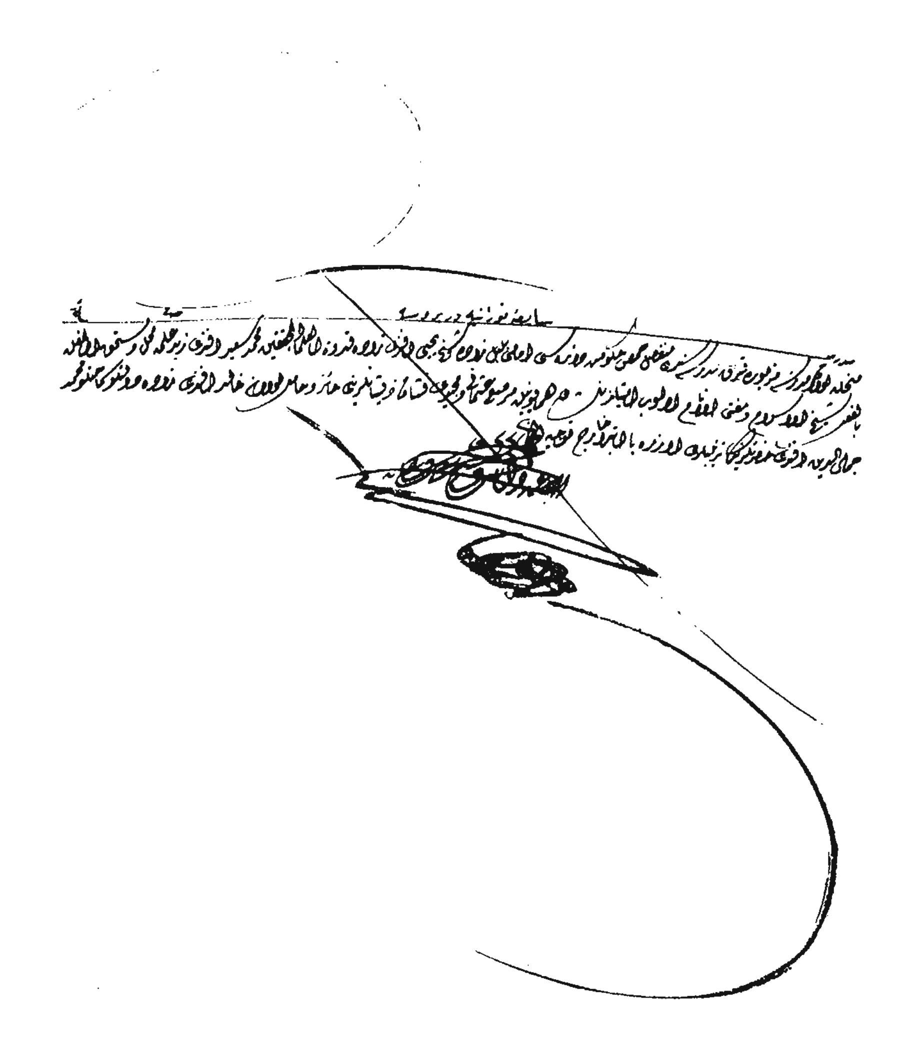
تلك هي لمحة عن الظروف التاريخية التي كتب فيها الشيخ سعيد كتابه الذي نقدمه إلى القارئ. وقد بسطناها في شيء من الإيجاز حتى لا يظن القارئ أن الكتاب ليس إلا بحثاً في الصوفية، ولكي يقرأ الكتاب باعتباره جزءاً من المعارك الفكرية التي كان لا بد للعرب أن يخوضوها على شتى الأصعدة وفي شتى المجالات وهم يستقبلون حركة نهوضهم بعد طول استكانة وتخلف وقعوا فيهما في فترة الحكم العثماني التي استطالت أربعة قرون. فاقتضى الانتفاضُ منها تجديداً في إهاب الفكر كما اقتضى تجديداً في أساليب الحياة. آملين أن يجد فيه الدارسون لتاريخ سورية الحديث ولتاريخ التصوف الإسلامي مادةً غنية كانت غائبة. وإنني إذ أقدم هذا الكتاب للقارئ، أتوجه إلى السيد محمد غازي حسين آغا سبط الشيخ سعد الدين الجباوي بالشكر الجزيل لمعونته لي في إخراج هذا الكتاب. فقد وضع بين يديَّ كتابه الذي يعده عن الطريقة السعدية، ومنحني من وقته فسحةً ومن بيته كنفاً ومن مكتبته ركناً فكان الكريم.

حمص، خريف ٢٠٠١

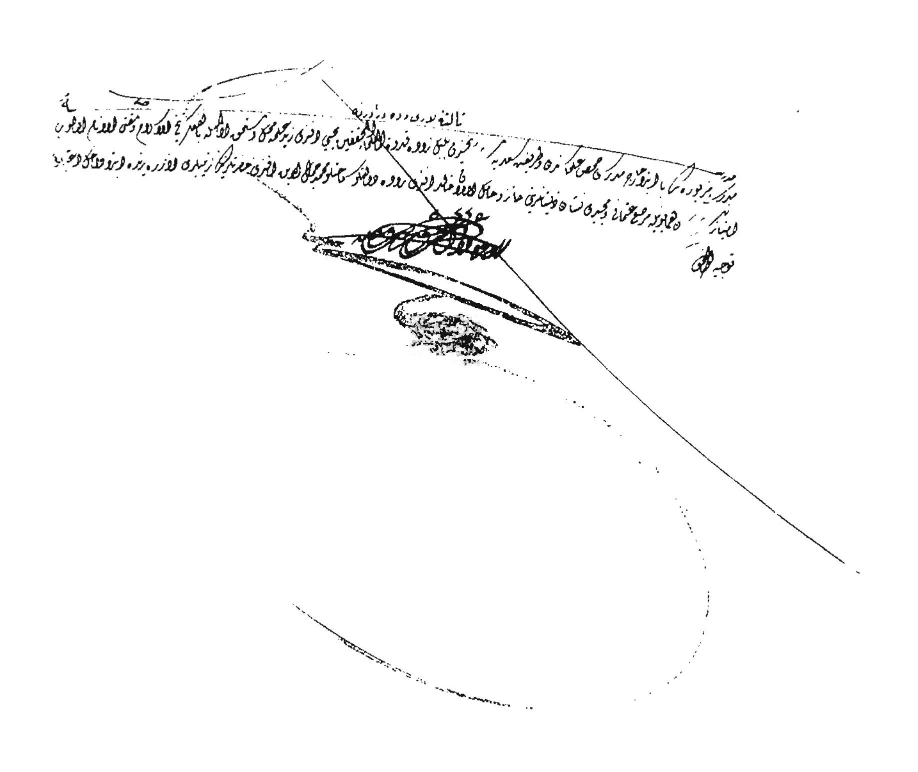
فرحـان بلبـل



صورة الشيخ سعيد بلبل
١٨٧٤ - ١٩٣٧



الوسام المجيدي من الدرجة السابعة



الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة

تقاريظ الكتاب

الأول لقاضي حمص المنتدَب شريف العطار

هذا ما كتبه الأستاذ العلامة والبحر الفهامة حضرة الفاضل شريف أفندي العطار قاضي حماة والمندوب لقضاء حمص حفظه الله من جميع المساوي ونفع الله به المسلمين آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله جلّت عظمتُه، والصلاة والسلام على رسوله سيدنا محمد تعالت عند الله منزلتُه، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار، فقد عرض عليَّ الأستاذ الشيخ محمد سعيد بلبل كتابه هذا الذي جمعه لأدققه. وإذا رأيته موافقاً لأصدقه. فأجبته لطلبه وبدأت قراءته بحضوره ووجود رفقاء لي من أهل العلم والصلاح. كنا نقرأ منه في كل ليلة نجتمع فيهاجميعاً ما تيسر منه إلى أن دققه من أوله إلى آخره. فوجدناه كتاباً مشمولاً بالفوائد العائدة لذكر الله تعالى، معتمداً جامعهُ على النقل من الكتب المعتبرة لفحول العلماء. لذلك فإني أصدق على ما فيه. وأسأل الله أن يثيب جامعها فيه ومن أعان على تدقيقه، وينفع قارئه إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٢٣ شوال سنة ١٣٥٣ ٢٨ ك ٢ ١٩٣٥

قاضي حمص المنتدب

محمد شريف العطار

الثاني للشيخ توفيق الأتاسي

هذا ما كتبه شيخي وأستاذي البحر الفهامة التقي البارع الحاذق الفطن النحرير الذكي، من هو إلى الخيرات سابق، الفاضل الحاج توفيق أفندي الأتاسي أتمَّ النفعَ به آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق من أراد لسلوك سبيل طاعته. وخصَّ من شاء بمحبته ومزيد عنايته. وهداهم بأنوار هدايته. والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان من الله الواحد الأحد على السيد السند الأمجد سيدنا ومولانا ونبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى الأبد.

أما بعد.

فقد اطلعت على هذه الرسالة الملخَّصة من أقوال العلماء والأعلام بوَّأهم الله تعالى دار السلام. فوجدتها قد اشتملت على غُرر الفوائد ودرر الفرائد. أبان جامعُها الأستاذ المرشد الشيخ محمد سعيد أفندي بلبل ما لكلمة التوحيد من الآداب عند ذوي الألباب، وأرشد بها أرباب الفكر إلى شروط آداب الذكر. حسبما وردت به الآثار ونصت عليه العلماء الأخيار في بطون الأسفار. فهي جديرة بالقبول وحصول المأمول. يشهد الناظرُ فيها لجامعها بأنه ممن يبتغي الإرشادَ ونفعَ العباد. جزاه الله الثواب الجزيل العميم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. آمين.

الفقير إليه تعالى

محمد توفيق الأتاسي

الثالث لمفتي حمص طاهر الأتاسي

هذا ما كتبه بهجةُ الأسلام وقدوةُ العلماء الأعلام خاتمةُ المحققين مولانا السيد طاهر أفندي الأتاسي مفتي حمص حالاً أطال الله عمره آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حقَّ حمدهُ . والصلاة والسلام على نبيه وعبده .

اطلعت على هذه الرسالة فوجدتها حاوية لنصوص المذهب والنقل الصحيح عن العلماء الراسخين . والسيرُ على ما حوته من الشروط هو المطابق لأحكام الشريعة والحقيقة . فإن العمل والسير في طريق الحقيقة - إذا كان على نهج الشريعة - فهو الطريق الموصل إلى السعادة الأخروية .

الفقير مفتي حمص

محمد طاهر الأتاسي

الرابع لمحمد بن علي عبد القدير الديراني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي تعالى عن الشريك والولد. والصلاة والسلام على عين الوجود وإنسان كل موجود وحياة سر الوجود الـمُمِدِّ لسائر المخلوقات دنيا وآخرة، صاحبِ اللواء المعقود والحوض المورود، وعلى آله وأصحابه أصحابِ الشهود، الفائزين بطلعة البدر والحائزين لوقعة بدر.

أما بعد

فإني اطلعت على هذه النسخة المباركة الصغيرة الحجم الكبيرة في المعاني والفهم. وجدتها نسخة بحريَّةً غارفةً من بحر البحور، جامعةً لأحسن الزهور، مبينةً لذكر رب الخلائق على أحسن الطرائق، جامعةً للحقيقة والحقائق. وأسأل الله سبحانه أن يوفق صاحبها وإيانا لأقوم طريق. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

١٥ ذو القعدة سنة ١٣٥٦
الفقير إليه تعالى
محمد بن علي عبد القدير الديراني

أحكام الذكر والسماع عند الصوفية

تاليف

الشيخ سعيد بلبل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الآيات المعجزات. وعلى آله وصحبه الذين تركوا البدع والضلالات.

أما بعد

فهذه أحكام تتعلق بالذكر والسماع قد جمعها أحقر الورى وأفقر الفقرا محمد سعيد بن المرحوم الشيخ يحيى بلبل من كتبِ ورسائلِ وفتاوى العلماء لإخواني الضعفاء. فاللهَ أسأل وبحبيبه أتوسل أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

اعلم أنه لما كان ذكر الله جلّ ثناؤه وتنزَّهت ذاته وأسماؤه هو من أعظم شعائر الدين والطريقُ الموصل إلى السعادة الأبدية ومنازل المقربين، فقد مدح الله أهله في محكم آياته القرآنية وحث عليه النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الشريفة النبوية. فقال تعالى ولم يزل قائلاً عليماً (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات. أعدَّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً). وقال من جاء رحمة للأمة (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر). وأفضل الذكر كلمةُ الجلالة لقوله صلى الله عليه وسلم (أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي "لا إله إلا الله")[1]. وهي بلا شك ولا ترديد من القرآن. والقرآن عربي غيرُ ذي عِوَج كما أخبر بذلك العزيزُ في كتابه القديم. فيجب حينئذ النطق بها كما نطق سيد المرسلين. ومن حاد عن ذلك فقد باء بالإثم المبين. وقد طلب صحته أئمة الفقهاء والصوفيةُ وأهلُ السنة البيضاء والطريقة المحمدية. واتفقت على ذلك كلمتهم. وتطابقت عليه مقالتهم. ولم يُجيزوا ذلك إلا لمفقود إحساس غائبِ الحواس.

---

١ - اعلم أن المسمى بالجلالة كلمة التوحيد وهي قوله (لا إله إلا الله) أو لفظ (ألله) فقط. ويحتمل أن هذا الاسم موضوع لكل منهما فيكون من المشترك اللفظي، أو موضوع للفظ ألله. فيكون استعماله في كلمة التوحيد جميعاً من قبيل تسمية الكل باسم الجزء على سبيل التجوز. أو موضوع لكلمة التوحيد. واستعماله في الاسم الشريف من باب تسمية الجزء باسم الكل على سبيل التجوز أيضا. (المؤلف).

١ - مخارج حروف الجلالة

قال المحقق الأمير في رسالته "نتائج الفكر وآداب الذكر"[٢] : (واعلم أن جميع كلمة التوحيد مرققةٌ لا يُفخَّم منها إلا لفظة الجلالة فقط . وأما مخارج حروفها فقد انحصرت في أربعة . اللام والألف والهمزة والهاء . فمخرج اللام من طرف اللسان يوضع في أصل الثنايا العليا . ومخرج الألف من أصل الجوف خارجةً من محض النفَس . ومخرج الهمزة والهاء كلاهما من الحلق . غير أن الهمزة أشدُّ من الهاء وأيبس . ونهى العلماء عن السكتة على "لا إله" لما فيه من إيهام التعطيل . بل يصله بالاستثناء والإثبات بقوله "إلا الله" بسرعة خلافاً لما سمعته من بعض هؤلاء الذين يُنسبون إلى فقراء الصوفية وما هم منهم . ولكنهم قوم لا يفقهون) . إلى أن قال : (وليحذرْ مما يقع لبعضهم من تفخيم أداة النفي . وربما مال بألفها إلى جهة الشفتين فتصير كالواو . أو لجهة وسط اللسان وما فوقه فتصير كالياء . أو يبدِّل همزة "ألله" ياءً . أو يُشبع الهمزة فتتولد منها ياء . أو يُثبت ألفها فإنه لحن . بل يجب حذف الألف الأخير لالتقاء الساكنين . وهؤلاء الجهلة يُثبتونها ويمدّونها ويتفننون في مدها . وبعضهم يمدُّ هاء "إله" . ويولّد من إشباعها ألفاً . بل سمعت بعضهم يُثبتُ همزة "الله" ويمدها فتصير كالاستفهام . وكل ذلك مخالف لما نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر به) .

٢ - تقسيم الذكر إلى ثلاثة أقسام

والحاصل أن الذكر على ثلاثة أقسام . ذكرٌ بالقلب وذكرٌ بالصدر وذكرٌ باللسان .

أما ذكر القلب وذكر الصدر فإنهما يجوزان بكل وجه من الوجوه . فلا يُشترط في ذلك ترقيقٌ ولا تفخيم ولا مدٌّ ولا قصرٌ لأن ذلك من عرَضيات اللسان . وفي ذكر القلب وذكر الصدر ليس للسان فيه حظ . وأما ذكر اللسان وحده بقطع النظر عن القصد ، ففعل من أفعال المكلف . فلا بد أن يتصف بحكم من حكمي الصحة والفساد بعد قصده . فإن جاء بعد أن يُقصَدَ على وجهه الشرعي مُعرَباً منطوقاً به على وفق ما ورد ، كان صحيحاً وإلا كان فاسداً . ألا ترى أن الصلاة إذا قصدها

٢- المحقق الأمير ١١٤١ - ١٢١٣ هـ ١٧٢٩ - ١٧٩٩ م هو إبراهيم بن محمد إسماعيل الحمزي الحسني الهاشمي . واعظ مفسر من متصوفي الزيدية . سافر إلى مكة مرات وتوفي فيها . من كتبه (فتح الرحمن في تفسير القرآن بالقرآن) .

الشخص فأتى بهيئتها الشرعية كانت صحيحة وإلا كانت فاسدة ولم يُجْدِه القصدُ شيئا ؟ وإن القراءة إذا قصدها فأتى بها على وجه الصواب كان مثاباً وإلا كان آثماً. فتأمل وأنصف.

٣ - قصر لفظة الجلالة غير جائز

وأما قصر لفظة (الله) فغير جائز ومخرجٌ له عن الاسمية فلا ينعقد به ذكر ولا يمين. ففي "الشمس" للّقاني على الجوهرة [٣] (وأما حذف ألف الله فهو لحن لا ينعقد معه يمين ولا يصح به ذكر). ومثلُه في حاشية الباجوري [٤] على الجوهرة وفي الزرقاني على العزيَّة [٥] (عطفاً على شروط تكبيرة الإحرام ومدِّ الجلالة مداً طبيعياً. فإن تركه لم تَجُزْ صلاته). ثم قال: (وكذا الذاكر لا يكون ذاكراً إلا به). ومثله في كبير الخرشي [٦] على المختصر وفي حاشية العلامة سيدي عبد الجواد الأنصاري الجرجاوي [٧] عليه أيضاً وفي حاشية العلامة العدوي [٨] على شرح الرسالة للعلامة

٣- اللقاني ٠٠٠ - ١٠٤١ هـ ٠٠٠ - ١٦٣١ م إبراهيم بن حسن اللقاني برهان الدين. نسبته إلى لقانة في مصر. متصوف مالكي. من كتبه (جوهرة التوحيد). وكان يسمى "الشمس".

٤- الباجوري ١١٩٨ - ١٢٧٧ هـ ١٧٨٤ - ١٨٦٠ م. إبراهيم بن محمد الباجوري شيخ الجامع الأزهر. نسبته إلى الباجور في مصر. له تصانيف كثيرة منها (تحفة المريد على جوهرة التوحيد). وهو حاشية على كتاب اللقاني السابق.

٥- الزرقاني ١٠٢٠ - ١٠٩٩ هـ ١٦١١ - ١٦٨٨ م. عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني فقيه مالكي مصري. من كتبه (شرح مختصر سيدي خليل) و (شرح العزية).

٦- الخرْشي ١٠١٠ - ١١٠١ هـ ١٦٠١ - ١٦٩٠ م محمد بن عبد الله الخراشي او الخرشي. نسبة إلى قرية أبو خراش في مصر. فقيه مالكي تولى مشيخة الأزهر. له (الشرح الكبير على متن خليل). ويعرف بكبير الخرشي. وله أيضاً (الشرح الصغير).

٧- الأنصاري ٠٠٠ - ١٠٧٣ هـ ٠٠٠ - ١٦٦٢ م. عبد الجواد بن شعيب الأنصاري من مصر. جاور مكة وتوفي في مصر. من تصانيفه شرحُه على كبير الخرشي.

٨- العدوي ١١١٢ - ١١٨٩ هـ ١٧٠٠ - ١٧٧٥ م علي بن أحمد بن مكرم. ولد في بني عدي في منفلوط وتوفي في القاهرة. فقيه مالكي. كان شيخ الشيوخ في عصره. من كتبه (حاشية على شرح العزية) للزرقاني.

أبي الحسن عند قول المصنف - أي الأنصاري - (الإحرام أن يقول : الله أكبر بالمد الطبيعي للفظ الجلالة قدْرَ ألِف . فإن تركه لم يصحَّ إحرامُه . كما أن الذاكر لا يكون ذاكراً إلا به) .

ولا مانع من تنزيل غلبة الحال منزلة ضرورة الشعر . أنشد البيضاوي[٩] :

ألا لا بارك الله في سُهيل إذا ما الله بارك في الرجال

بحذف الألف . فإن غلبة الحال تُخرجُه عن حدِّ الكلمة . وأما غيره فلا يُغتفر له ذلك ولا يكون ذاكراً بترك المد . وفي "النتائج" له أيضاً[١٠] (وأما مدُّ كلمة الجلالة فلا يجوز نقصُه عن حركتين . وهو المد الطبيعي الذي لا تتحقق طبَعيَّة الحرف بدونه . وذلك أن الألف تقدر عندهم بحركتين . ثم إذا وصلت كلمة الجلالة بشيء كأن تقول "لا إله إلا الله محمد رسول الله" أو كررت كلمة التوحيد مراراً متصلة من غير وقف على كلمة الجلالة ، فلا تَزِد على حركتي المد الطبيعي . وأما إذا سكَّنت هاء الجلالة ووقفت عليها ، فيجوز لك الزيادة في المد إلى ست حركات لأجل السكون العارض لأجل الوقف . ويجوز التوسط بين ذلك . هذا ما تواترت عليه أشرف العبارات الإسلامية .

وذكر بعض أهل العلم أنه إذا مدَّ - أي الذاكر - كلمة الجلالة في تكبير الإحرام للتعظيم واستحضار النية أو غير ذلك ، فلا تضر الزيادة إلى أربع عشرة حركة وهي أقصى ما نُقل من القراءات ولو في الوجوه الشاذة) . انتهى ما للمحقق رضي الله عنه . وقال العارف الأخضري[١١] في المنظومة :

والألف المحذوف قبل الهاء قد أسقطوه وهو ذو خفاء
وغرهم إسقاطُه في الخطِّ وكل من يتركه فمخطي
قد غيروا اسم الله جل وعلا وزعموا نيل المراتب العلى
فغرهم مذاقةٌ طبعيهْ سببها حركةٌ نفسيّهْ

٩- البيضاوي ٠٠٠ - ٦٨٥ هـ ٠٠٠ - ١٢٨٦ م عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ناصر الدين البيضاوي . ولد في المدينة البيضاء في فارس . وولي القضاء في تبريز وتوفي فيها . من كتبه (أنوار اتنزيل وأسرار التأويل) ويعرف بتفسير البيضاوي . وهو من فقهاء الشافعية .

١٠- (له أيضاً) أي للمحقق الأمير في كتابه (نتائج الفكر في آداب الذكر) .

١١- الأخضري ٩١٨ - ٩٨٣ هـ ١٥١٢ - ١٥٧٥ م عبد الرحمن بن محمد الأخضري من أهل بسكرة في الجزائر . من مصنفاته (الجوهر المكنون) في البيان . وهو الذي نقل منه الشيخ .

فزعموا أن لهم أسرارا وأن في قلوبهم أنوارا
وزعموا أن لهم أحوالا وأنهم قد بلغوا الكمالا
والقومُ لا يدرون ما الأحوالُ فكونها لمثلهم محالُ
حاشا بساطَ الأنس والكمالِ تطأه حوافرُ الجهّالِ
قد ادّعوا من الكمال منتهى يكلٌ عن تحصيله أولو النهى
والجاهلون كالحمير الموكَفهْ والعارفون سادةٌ مشرَّفَهْ
وهل يرى بساحل الأنوار من لجٍّ في بحر الظلام ساري

وقال سيدي مصطفى البكري [١٢] في كتابه (الضياء الشمسي على الفتح القدسي) نقلاً عن القاضي [١٣] (وتفخيم لامه إذا فُتح ما قبله أو انضمَّ سنةٌ. وقيل مطلقاً. وحذف ألفه لحنٌ تفسد به الصلاة ولا تنعقد به صريحُ اليمين.) وفي "لطائف البحث والتفتيش لشرح صلاة ابن مشيش" للعارف بالله تعالى سيدي شعيب بن اسماعيل الكيالي [١٤] ما نصه (قال - يعني الفخر الرازي [١٥] - وأما حذف ألف "الله" فهو لحن لا ينعقد معه ذكر). اهـ. وكما لا ينعقد به ذكر، لا ينعقد به صريح اليمين وتفسد به الصلاة كما ذكره القاضي في تفسيره [١٦].

١٢- مصطفى البكري ١٠٩٩ - ١١٦٢ هـ ١٦٨٨ - ١٧٤٩ م مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الخلوتي. حنفي متصوف. ولد في دمشق ومات في مصر.

١٣- هو القاضي خان ٠٠٠ - ٥٩٢ هـ ٠٠٠ - ١١٩٦ م حسن بن منصور المعروف بقاضي خان الفرغاني. فقيه حنفي له (الفتاوى) و (شرح الجامع الصغير).

١٤- شعيب بن إسماعيل الكيالي الإدلبي ١١١٦ - ١١٧٢ هـ ١٧٠٤ - ١٧٥٨ م. ولد في إدلب وتعلم في دمشق وسكن حلب. ومات في طريق الحج. من كتبه (الدر المنضود) رسالة في التصوف. وابن مشيش (٠٠٠ - ٦٢٢ هـ ٠٠٠ - ١٢٢٥) عبد السلام. ناسك مغربي اشتهر برسالة له تدعى (الصلاة المشيشية) شرحها كثيرون.

١٥- الفخر الرازي ٥٤٤ - ٦٠٦ هـ ١١٥٠ - ١٢١٠ م. محمد بن عمر بن الحسين التيمي فخر الدين الإمام المفسر. قرشي النسب. ولد في الري وإليها نسب وتوفي في هراة. تصانيفه كثيرة منها (مفاتيح الغيب) في تفسير القرآن.

١٦- المقصود به القاضي خان. وكلما ذكر الشيخ كلمة (القاضي) كان هو المقصود.

والحاصل أن الذكر بالاسم الكريم لا ينعقد إلا بالمد الطبيعي . وإن قصره لحن . ويجب على من انتمى إلى أحد من السادة الصوفية اتباعُهم لأنهم – رضوان الله عليهم – ما نالوا الوصول إلا باتباعهم لشرع الرسول . وفي "الجوهر الخاص" [١٧] ما نصه (المسألة السابعة والعشرون قوله : وهل بعدها – أي اللام من الله – ألفٌ أم لا ؟ الجواب نعم . إن بعدها ألفاً لفظية لا خطية . وحكمها أن حذفها في اللفظ لحن لا تنعقد معه الصلاة ولا اليمين ولا يكون ذاكراً بدونها .

ولا يُحتَجُّ في جواز حذفها بقول الشاعر :

ألا لا بارك الله في سُهيل إذا ما الله بارك في الرجال

فإن ذلك لضرورة الشعر والله أعلم) اهـ . فإذا تقرر ذلك يجب على العاقل أن ينطق بالاسم الأعظم على أجمل الوجوه . وحذف هذه الألف خطأ لا يعرفه أئمة اللسان . بل على فرض أنه لغة ، لا يباح جواز الحذف شرعاً لأن أسماء الله تعالى توقيفية ولم يثبت عن الشارع حذفها . وإنما الثابت عنه ثبوتها . فلا تتعدَّ . اهـ

ويرشِّح ذلك ما في "المصباح" عن المفضل [١٨] قال (من العرب من يبدل الضاد ظاء . يقال عظَّت الحرب بني تميم . ومن العرب من يعكس فيبدل الظاء ضاداً فيقول في الظهر "ضهر" . وهذا – وإن نُقل في اللغة وجاز استعماله في الكلام – لا يجوز العمل به في كتاب الله تعالى لأن القراءة سنة متبعة) اهـ وحينئذ فلا يلزم من جواز القصر لغةً جوازُه شرعاً . ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال في اسمه تعالى "العظيم" مثلاً العضيم بالضاد ، ولا في اسمه تعالى "الضار" الظار بالظاء نظراً للغة؟ فالتمسك بهذا البيت نابذٌ لما تقدم من نصوص الأئمة رضوان الله عليهم . وأحرى أن يصدق عليه المثل السائر الذي يُضرب لمن أخطأ في أمرٍ مع اعتقاد صوابه وهو "قد غرَّك سهيل وضلَّ بك حمارُ الليل" . ويا ليت شعري بعد هذه النصوص الصحيحة والنقول الواضحة الصريحة في طلب تصحيح الذكر من أكابر الفقهاء والصوفية ، ما حجة المخالف ؟ إن هو إلا عنادٌ وإفسادٌ لأعمال العباد . فإن أقل ما قيل في الذكر الملحون إنه لا ترقِّيَ في تكراره ولا ثواب . ولو تتبعنا كل نص

١٧– (الجوهر الخاص) أو (جوهرة الخاص) لمحمد العمري . وسيأتي الحديث عنه .

١٨– المفضل . . . – ١٦٨ هـ . . . – ٧٨٤ م المفضل بن محمد الضبي . راوية للشعر والأدب وأيام العرب . له (المفضليات) مختارات في الشعر . و (المصباح) في اللغة .

صريح في طلب التصحيح لطال الكلام . فنسبةُ القول بجواز التحريف والإلحادِ في الأسماء الكريمة وإخراجِها عن قانونها الشرعي إلى الأئمة الصوفية محضُ افترا ، يؤدَّب من عليه اجترى . (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) .

٤ - خبر مرور رسول الله (ص) بالموالي

وأما خبر (مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموالي وهم يقرؤون ويلحنون فقال : نعم ما تقرؤون . ومر بالعرب وهم يقرؤون ولا يلحنون فقال : هكذا أنزل) فحمله بعض المحققين على أنهم كانوا عاجزين عن النطق بالأحرف القرآنية من مخارجها لأنهم غير متأصلين في العربية . فيعذَرون لأنهم أتوا بما في طاقتهم . وقد قال صلى الله عليه وسلم : إذا أمرتكم بأمر فأْتُوا منه ما استطعتم . وأما اللحن بمعنى التطريب وتحسين الصوت مع الإتيان به على الوجه المعروف والأسلوب المألوف ، فيكون كقوله صلى الله عليه وسلم : زيِّنوا القرآن بأصواتكم . ويؤيد هذا ما ذكروه من أن اللحن - أي الخطأ - لم يوجد إلا في خلافة علي رضي الله عنه . وكان هو المقتضى لأمره أبا الأسود الدؤلي[١٩] بوضع النحو . وفي شرح العلامة القسطلاّني[٢٠] على متن البخاري[٢١] عند قوله "باب حسن الصوت بالقرآن" ما نصه (وأما القراءة بالألحان فقال الشافعي في المختصر : لا بأس بها . وفي رواية : مكروهة) . قال جمهور الأصحاب : ليست على قولين . بل المكروه أن يُفرط في المد وفي إشباع الحركات حتى يتولد من الفتحة ألف ومن الضمة واو ومن الكسرة ياء ، أو يُدغم في غير موضع الإدغام . فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة . فإن النووي[٢٢] رحمه الله

١٩- أبو الأسود الدؤلي ١ ق هـ - ٦٩ هـ ٦٠٥ - ٦٨٨ م ظالم بن عمرو بن سفيان الكناني واضع علم النحو . رسم له علي بن أبي طالب شيئاً من أصول النحو فكتب فيه .

٢٠- القسطلاني ٨٥١ - ٩٢٣ هـ ١٤٤٨ - ١٥١٧ م أحمد بن محمد العتُيبي المصري . مولده ووفاته في القاهرة . من علماء الحديث . من كتبه (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري) .

٢١- البخاري ١٩٤ - ٢٥٦ هـ ٨١٠ - ٨٧٠ م محمد بن إسماعيل . نشأ يتيماً ورحل في طلب العلم ووضع (الجامع الصحيح) المعروف بصحيح البخاري .

٢٢- النووي ٦٣١ - ٦٧٦ هـ ١٢٣٣ - ١٢٧٧ يحيى بن شرف الحوراني النووي . ولد وتوفي في نوى من حوران في سورية . له (الأربعون النووية) و (حلية الأبرار) المعروف بالأذكار النووية .

تعالى قال : (إذا أفرط على هذا الوجه المذكور فهو حرام) . صرح به صاحب " الحاوي " [٢٣] فقال : (حرام يفسق به القارئ ويأثم به المستمع لأنه عدل به عن نهجه القويم) . وهذا مراد الشافعي بالكراهة . وقال في " شرح الدر " [٢٤] : (الترجيع بالقرآن والأذان بالصوت الطيب طيب إن لم يزد فيه بحروف . وإن زاد كُرِه له ولمستمعه . وقوله - أي قول المستمع - أحسنتَ، إن لسكوته فحسن ، وإن لتلك القراءة يُخشى عليه الكفر) . انتهت عبارة ابن عابدين في حاشيته . وقوله (الترجيع بالقرآن والأذان) هو التلحين ، أي التغني ، لأن الترجيع في اللغة الترديد . وقال في " المُغْرِب " [٢٥] (ومنه الترجيع في الأذان لأنه يأتي بالشهادتين خافضاً بهما صوته . ثم يرجِّعهما رافعاً بهما صوته) اهـ . إلى أن قال قوله (وإن زاد بأن أخرج الكلمة عن معناها كُرِه أي حرُم) وقوله (يُخشى عليه الكفر) أي لأنه جعل الحرام المجمع عليه حسناً . وفي الطحطاوي [٢٦] (ولعله لم يكفر جزْماً لأن تحسينه ذاك ليس من حيث كونه أخرج القرآن عن وضعه ، بل من حيث تنغيمه وتطريبه) فتأمل . ويقرب من هذا في زماننا لمن يغني للناس الغناء المحرم " بارك الله . طيب الله الأنفاس " . فإن قصد الثناء عليه والدعاء له لسكوته فحسن . وإن لغنائه فمعصية أخرى مع السماع يخشى منها ذلك . فتنبَّهْ لذلك .

وبالجملة قد أجمع علماء الإسلام ومصابيح الأنام على وجوب تجويد القرآن الكريم ، والإتيان به على أكمل وجوه التنظيم ، وعلى منع التحريف والتطريب المؤدي إلى زيادة الحروف ، لأنه يُخرجه عن نهجه المعروف . وما ورد مما يوهم خلاف ذلك فقد ضعَّفوه أو أوَّلوه ، وعلى محاملَ حملوه . فاحذر إذا نُهيتَ عن تحريف الذكر أن تحكم بجوازه في أفصح كلام منزَّل على أقوم هيئة وأحسن

٢٣- (الحاوي للفتاوي) كتبه عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٨٤٩ - ٩١١ هـ ١٤٤٥ -١٥٠٥ م نشأ في القاهرة ومات فيها . له كتب كثيرة منها (الحاوي للفتاوي) و (الجامع الصغير) في الحديث النبوي و(تفسير الجلالين) .

٢٤- المقصود به كتاب ابن عابدين (قرة عيون الأخبار) على كتاب والده (الدر المختار) . وهو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي ١١٩٨ - ١٢٥٢ هـ ١٧٨٤ - ١٨٣٦ م فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره . وكتابه يعرف بحاشية ابن عابدين .

٢٥- (المُغْرِب في ترتيب المُعْرِب) في اللغة تأليف ناصر بن عبد السيد المُطَرِّزي ٥٣٨ - ٦١٠هـ ١١٤٤ -١٢١٣م . ولد في خوارزم ورحل إلى بغداد . كان رأساً في الاعتزال ومن فقهاء الحنفية .

٢٦- الطحطاوي أحمد بن إسماعيل ٠٠٠ - ١٢٣١هـ ٠٠٠ - ١٨١٦ مصري . فقيه حنفي .

نظام. فتكون كمن نُهِي عن تدنيس حجرة الدار فأصبح وقد بال على فراش العز والافتخار. فإن قلت: إذا صح حمل كلٍ من خبر مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموالي وهم يقرؤون ويلحنون فقال: نِعمَ ما تقرؤون. وقولِه صلى الله عليه وسلم: من قرأ القرآن فأعربه كله كان له بكل حرف أربعون حسنة. ومن أعرب بعضه كان له بكل حرف عشرون حسنة. ومن لم يعرب منه شيئاً كان له بكل حرف عشر حسنات. فهذا محمول على حالة العجز. فكذلك يقال: إن الذاكرين قد اجتهدوا في تصحيح الذكر ولم يمكنهم إلا هذا الذكر على هذا الوجه لأنهم عوام لا يطيقون تصحيحه على الوجه المطلوب، فالجواب أن الكلمة المشرَّفة خفيفة على اللسان محفوظة لكل إنسان. والأسماء الكريمة سهلةُ المباني لا يعاني تصحيحَها شخصٌ إلا ظفر به. فإنهم يذكرون بلا إله إلا الله أو بالاسم الأعظم مفرداً أو بكلمة (هو) أو (حق) أو (حي) أو (قيوم). فأيُّ اسم من تلك الأسماء لا يتحمل اجتهاداً و لا يمكن معه التصحيح. على أن المشاهَد أنهم إذا كانوا فرادى ينطقون بها معربَةً. وإذا تحلَّقوا أتَوْا بها على هيئة تمجُّها نفوس أولي الألباب. فتلك الدعوى باطلة. وعن زينة الحق عاطلة.

وبالجملة: إن اللحن - أي الخطأ - في الأسماء بمعنى مخالفة الصواب، إما أن يكون في الأحرف بأن يزيد فيها حروفاً ليست منها، أو ينُقِصَ منها ما هو فيها، أو يبدِّلَ حروفها بأخرى وهذا حرام باتفاق. فإن تلك اللفظة التي حصل فيها التبديل أو الزيادة أو النقص، وأجازوا إطلاقها عليه تعالى حيث قصدوا الذكر بها، ليست هي التي أطلقها الحقُّ تعالى على نفسه. فيصدق عليهم أنهم سمَّوْه بما لم يسمِّ به نفسَه. وذلك نوع من الإلحاد. فقد ذكر بعض المفسرين كالفخر الرازي والخازن[٢٧] عند قوله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ وفي "المنهل العذب" [٢٨] لسيدي مصطفى البكري ما نصه (ومما يجب على المريد إن لم يكن عارفاً بالإعراب أن يقرأ الأوراد على عارف. فإن الدعاء الملحون لا يُقبل). فإن قلت: نرى كثيراً من أهل الجذب وأرباب الحال يدعون ويَلحنون ومع ذلك يُستجابُ لهم، قلنا إنهم

٢٧- الخازن ٦٧٨ - ٧٤١ هـ ١٢٨٠ - ١٣٤١ م علي بن محمد ابن إبراهيم المعروف بالخازن. ولد في بغداد وسكن دمشق مدة. وكان خازن الكتب فيها. فقيه شافعي عالم بالتفسير والحديث. من تصانيفه (لباب التأويل في معاني التنزيل) المعروف بتفسير الخازن. توفي في حلب.

٢٨- هو كتاب مصطفى البكري (المنهل العذب السائغ لورّاده في ذكر صلوات الطريق وأوراده).

يُسامَحون فيه لبذل وسعهم في عدم اللحن وعدم تقصُّدِهم ذلك. هذا مع الصاحي. وأما السكران المستغرق المخبوء عقله في سرادقات غيبه، فهذا لـمّا أخذ منه ما وهب أسقط عنه ما وجب.

وربما نسبوا الأذكار المحرَّفَة إلى المشايخ الكاملين والأئمة العارفين وهي غير ثابتة لهم إذ هم أغْيَرُ على أسماء الله تعالى من غيرتهم على أعظم حرام سواه. وكانوا يغارون عند ذكر شيء منها صحيحاً مع غفلة القلب على المعنى. فكيف مع اللحن في أسماء الله تعالى؟ فما نسبوه إلى المشايخ إنما هو كذب وبهتان وضلال مبين. وكل من انتمى إلى أحد من أصحاب الطرق بدون موافقة الشريعة لا تصحُّ نسبتُهُ إليه ولو كان لصلبه، ولا ينتفع بشفاعته إلا من كان متَّبِعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومتمسكا بشرعه. وانظروا إلى قول نوح عليه السلام: (ربِّ إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين). وكان ابنه كنعان أشرف على الهلاك بعدم متابعته لأبيه. فسأل النبي نوح عليه السلام ربَّه جل وعلا أن ينجِّيَ ابنه من الطوفان الذي أغرق الكفار فيه فلم ينجِّه بل أغرقه كما قال: (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين). وأجابه بقوله: (يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح). فنفى أهليته لكونه لم يتبع أباه مع ثبوت نسبه.

٥ - الأذكار المحرَّفة لا يجوز استعمالها

واعلم أن الأذكار المحرفة كما لا يجوز استعمالها لا يجوز استماعها. لأن للسامع حكم المسموع كما أن للناظر حكم المنظور. فصُنْ سماعَك عن البِدعِ تسلمْ. وغُضَّ طرفَك عن المحدَثات تغنمْ.

وتحريف أسماء الله تعالى مخالف لما كان عليه النبي وأصحابه. فهو من البِدَع المذمومة. وقد قال صلى الله عليه وسلم: (من نظر إلى صاحب بدعة بغضاً له في الله ملئ قلبه أمناً وإيماناً. ومن انتهر صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة). ومن لقيه بالبشر أو بما يسره فقد استخف بما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتَّبِعوا ولا تبتدعوا. فإنما هلك من كان قبلكم بما ابتدعوا في دينهم وتركوا سنن أنبيائهم وقالوا بآرائهم فضلوا وأضلوا). وقال الفُضَيْل[٢٩] رضي الله عنه: (من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور

٢٩- الفضيل بن عياض التميمي ١٠٥ - ١٨٧ هـ ٧٢٣ - ٨٠٣ م. شيخ الحرم المكي. ثقة في الحديث. أخذ عنه كثيرون منهم الشافعي. مات في مكة.

الإسلام من قلبه). وقال سيدي إبراهيم الدسوقي[٣٠] (طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة. فمن أحدث فيه ما ليس في الكتاب والسنة فليس هو منا ولا من إخواننا، ونحن بريئون منه في الدنيا والآخرة ولو انتسب إلينا بدعواه). وقد وقع لسيدي أبي يزيد البسطامي[٣١] رضي الله عنه أنه سافر لزيارة رجل مشهور بالولاية والصلاح. فدخل عليه ليتبرك به. فوجد ذلك الرجل يبصق تجاه القبلة. فأعرض عنه ولم يجتمع به. فقيل له في ذلك فقال: هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكيف يصلح أن يكون مأموناً على أسرار الله تعالى؟ وليس البصاق في القبلة بأقبح من اللحن في أسماء الله تعالى وإخراجها عن قانونها الشرعي عند من له نفس زكية. فانظر إلى الأئمة رضي الله عنهم في مسألة خلق القرآن ما حصل. فلم ينزلوا عن الحق بل عمدوا إلى إيضاحه وإظهاره وإفصاحه مع وجود المندوحة. إذ لو قالوا إنه مخلوق وأرادوا الألفاظ الحادثة، لكان ذلك صحيحاً. ولكنهم، رضوان الله عليهم، تحملوا ما حلَّ بهم من المشقة الشديدة خشية أن تتطرق تلك العقيدةُ إلى الصفة القديمة. فما أرأفهم على هذه الأمة جزاهم الله عنها خيراً.

وفي (المدخل) لابن الحاج[٣٢] الحكمُ بتأديب من يلحن في الذكر. وبالجملة: إظهارُ حكم البدع المذمومة خصوصاً مع اعتقاد أنها قُربة، واجبٌ محتم على أهل العلم إنكارُها. وأما الأمر بـ (افعل) والنهي بـ (لا تفعل) فلا يجب إلا مع الشروط المعلومة. وإلا فعلى العالم حينئذ توضيح الأحكام. وعلى من نفذت كلمته من أولي الأمر وغيرهم، الجبرُ والالتزام. اللهم نسألك قلوباً منقادة للحق المبين. ونعوذ بك من حسرات الصعقة في الدنيا والدين آمين. واحذر يا أخي أن تستمر على ما أنت فيه خشية أن يقول الناس إن فلاناً كان على غير الحق فرجع عنه. فيترتب على

٣٠- إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد ٦٣٣ - ٦٧٦ هـ ١٢٣٥ - ١٢٧٧ م. يتصل نسبه بالحسين بن علي. من كبار المتصوفين. مصري. له كتاب (الجواهر).

٣١- أبو يزيد البسطامي طيفور بن عيسى ١٨٨ - ٢٦١ هـ ٨٠٤ - ٨٧٥ م. نسبته إلى بسطام بين خراسان والعراق. ووفاته فيها. زاهد مشهور له أخبار كثيرة.

٣٢- ابن الحاج ٠٠٠ - ٧٣٧ هـ ٠٠٠ - ١٣٢٦ م محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي نزل مصر وتوفي في القاهرة. له (مدخل الشرع الشريف) في كشف المعايب والبدع.

ذلك إعراضهم عنك وازدراؤهم لك وبغضهم إياك . وآثِرْ ما يرضي الحق تبارك وتعالى على ما يرضي الخلق متمثلاً بقول من قال :

فليتك تحلو والحياةُ مريرةٌ وليتك ترضى و الأنام غِضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العالمين خراب
إذا صحَّ منك الود فالكل هينٌ وكلُّ الذي فوق التراب تراب

وبقول من يقول :

إن صحَّ منك الرضى يا من هو الطلبُ فما أبالي بكل الخلق إن غضبوا

على أن في التوبة والرجوع الفوزَ بمحبة الله والملائكة والناس أجمعين . ومصداق ذلك قوله تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) . فاخرج بنفسك عن هذه الهواجس . وأَرِحْها من تلك الوساوس . واحمل إخوانك على ما يوافق الشرعَ القويم والسبيلَ المستقيم . واحذر أن يكونوا في الآجلة أعداءك بعد أن كانوا في العاجلة أحباءك . والله يتولى هداك .

٦ – فضل الذكر

وهنا نذكر بعض ما ورد في فضل الذكر من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية . لعلك تنشط إليه فتظفر بالأنوار والأسرار . قال تعالى : (فاذكروني أذكركم) . وقال تعالى : (ولَذكرُ الله أكبر) . وقال صلى الله عليه وسلم : (إن ذكر الله شفاء ، وإن ذكر الناس داء) . وقال : (أعظم الناس درجة الذاكرون) . وقال : (من أكثَرَ ذكرَ الله أحبه الله تعالى) . وروى (يقول الله تعالى : يا ابن آدم ، إنك إن ذكرتني شكرتني . وإذا نسيتني كفرتني) . وفي الحديث : (ليس على أهل لا إله إلا الله وحشةٌ في قبورهم ولا في نشورهم . وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) . وفي الخبر (يقول الله تعالى : لا إله إلا الله حصني . فمن دخل حصني أمن من عذابي) . وقال العارفون : (كل من تساهل بالغفلة ولم تكن عليه أشدَّ من ضرب السيوف فهو كاذب لا يجيء شيء منه في الطريق) . وقالوا : (إذا ترك العارفُ الذكرَ نفَساً واحداً ، قيَّضَ الله له شيطاناً فهو له قرين) . وأما غير العارف فيُسامَح بمثل ذلك ولا يؤاخَذ إلا في مثل درجة أو درجتين ، أو زمن أو زمنين ، أو ساعة أو ساعتين على حسب المراتب . اهـ

وقال الأستاذ أبو علي الدقاق[٣٣] رحمه الله تعالى : (الذكر ركن قوي في طريق الله تعالى، بل هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر) اهـ. وقال الشيخ أبو المواهب الشاذلي[٣٤] رحمه الله تعالى : (إنما كان الذكر أكبرَ من الصلاة لأن الصلاة وإن كانت عظيمة فقد لا تجوز في بعض الأوقات بخلاف الذكر فإنه مستدام في عموم الحالات).

وقال أيضاً : (اختلفوا أيُّما أفضل : الذكر سراً أو جهراً؟ والذي أقول به إن الذكر جهراً أفضلُ لمن غلبت عليه الفترةُ من أهل البداية، والذكرُ سراً أفضلُ لمن غلبت عليه الحمية من أهل النهاية) اهـ

وقال سيدي علي المرصفي[٣٥] رحمه الله تعالى : (قد عجز الأشياخ فلم يجدوا للمريد دواءً أسرعَ في جلاء قلبه من مداومة الذكر؛ فحكم الذكر في جلاء القلب كحكم الحصا في النحاس، وحكم غير الذكر في سائر العبادات كحكم الصابون في النحاس. وذلك يحتاج إلى طول زمن).

وقال أيضاً : (السالك في طريق الذكر كالطائر المجدِّ إلى حضرات القُرْب. والسالك من غير طريق الذكر كالزَمِن[٣٦] الذي يزحف تارة ويسكن أخرى مع بُعد القصد. فربما قطع مثلُ هذا عمرَه كلَّه ولم يصل إلى قصده) اهـ. وقال سيدي أبو مدين التلمساني[٣٧] رحمه الله تعالى : (من دامت أذكاره صفت أسراره. ومن صفت أسراره كان في حضرة الله قراره) اهـ.

٧ - فوائد الذكر

واعلم أن للذكر فوائد جليلة وعوائد جميلة. منها زوال الهم الواقع في هذه الدار. قال العارف الشعراني[٣٨] : (فإن الهم والغم فيها إنما هو بقدر الغفلة عن الله تعالى، فمن أراد دوامَ السرور

٣٣- الحسن بن علي النيسابوري المعروف بالدقاق ٠٠٠ - ٤٦٥ هـ ٠٠٠ - ١٠٧٣ م. كان إمام وقته.

٣٤- محمد أبو المواهب توفي عام ٨٠٠ هـ ١٣٩٧ م. من العلماء الأئمة.

٣٥- من العابدين أصحاب الكرامات. وهو شيخ الإمام الشعراني.

٣٦- الزَمِن هو المريض مرضاً مزمنا.

٣٧- أبو مدين التلمساني ٠٠٠ - ٥٩٤ هـ ٠٠٠ - ١١٩٨ م. شعيب بن الحسن. أصله من الأندلس. أقام في فاس وتوفي في تلمسان. صوفي. له (مفاتيح الغيب لإزالة الريب).

٣٨- الشعراني ٨٩٨ - ٩٧٣ هـ ١٤٩٣ - ١٥٦٥ م عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي. يرجع نسبه إلى محمد بن الحنفية. مصري. من تصانيفه (مدارك السالكين إلى رسوم طريق العارفين).

فليداوم على الذكر . فلا يلومن إلا نفسه إذا ترادفت عليه الهموم والغموم . فإن ذلك إنما هو جزاءٌ بقدر إعراضه عن ربه عز وجل . فافهم) اهـ . ومنها ذهابُ القسوة عن القلب . قال الحكيم أبو محمد الترمذي[٣٩] رحمه الله تعالى : (ذكرُ الله تعالى يرقق القلب ويُلينُهُ، فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوة فقسا ويبس وامتنعت الأعضاء عن الطاعة) . اهـ

ومنها خمودُ نار الأمراض الباطنية ؛ من كِبْرٍ وعُجْبٍ ورياء وحسد، وسوء ظن وحقد وغِلٍّ ومكر وحب محْمَدَة وشره وغير ذلك إذ هو إكسيرها . فكما أن الإكسير يقلب الأعيان الخسيسة إلى النفيسة فكذلك الذكرُ يقلب ظلمتها نوراً . ومنها قطع مواد الخواطر النفسانية والشيطانية . والفرق بينهما - كما في المنح السنية[٤٠] - أن خاطر الشيطان أكثرُه يدعو إلى المعاصي . وخاطر النفس أكثرُه يدعو إلى اتباع الشهوات . وفرقٌ بينهما أيضاً بأن النفس إذا طالبتك بشيء ألحَّت فلا تزال ترجع ولو بعد حين حتى تصل إلى مرادها إلا أن يداوم الرجل صدق المجاهدة . فإن الشيطان إذا دعاك إلى ذِلة فخالفته، أتى بعد ذلك ووسوس بذلَّة أخرى .

ومنها دفعُ كيد الأعداء الظاهرية والباطنية . قال ذو النون المصري[٤١] رحمه الله تعالى : (من ذكر الله تعالى حفظه من كل شيء) . وقال : (الذكر سيف المريدين . به يقاتلون أعداءهم من الجن والإنس . وبه يدفعون الآفات التي تطرقهم) . وقالوا : إن البلاء إذا نزل على قوم وفيهم ذاكر حاد عنه البلاء . وقالوا : إن الذكر إذا تمكن من القلب صار الشيطان يُصرع إذا دنا من الذاكر كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان . فتجتمع عليه الشياطين فيقال : ما باله ؟ فيقال : إنه دنا من ذاكر فصُرِع .

ومنها دفع ركوبِ الشيطان لعنه الله تعالى . قال العارف الشعراني : (قال سيدي الشيخ أفضل الدين[٤٢] : (إن الشيطان يركب أحدنا كلما غفل عن ذكر الله تعالى . فإنه واقف تجاه قلب العبد .

٣٩- الحكيم الترمذي ··· - ٣٢٠ هـ ··· - ٩٣٢ م محمد بن علي . صوفي عالم بالحديث من أهل ترمذ . من كتبه (نوادر الأصول في أحاديث الرسول) .

٤٠- (المنح السنية في فرائض الحنفية) تأليف أحمد بن أحمد بن مصطفى الحرستي الحنفي المتوفى عام ١١١٥ هـ ١٧٠٣ م .

٤١- ثوبان بن إبراهيم ··· - ٢٤٥ هـ ··· - ٨٥٩ م . أصله من النوبة من الموالي . أحد الزهاد . له حكمة وفصاحة وشعر .

٤٢- أفضل الدين الأحمدي محمد بن علي بن خلف ··· - بعد ٩٠٩ هـ ··· - بعد ١٥٠٣ م فقيه عروضي مصري شافعي . من كتبه (شرح الجامع الصحيح للبخاري) .

كلما غفل عن ذكر الله تعالى استحوذ عليه. وكلما ذكر الله تعالى نزل عنه. فلو كُشِف لأحدنا لرأى إبليس يركبه كما يركب أحدنا الحمارة يصرِّفها كيف شاء طول الليل والنهار كلما غفل. وينزل عنه كلما ذكر الله تعالى. اهـ

والحاصل فضل الذكر وأهله وفضل مجالسه أشهر من أن يُذكر وأكثر من أن يُحصر.

٨ - خواص أهل الذكر

ومن خواص أهل الذكر أنهم هم الذين لا يشقى جليسهم بل يُكتب معهم ويُلحق بهم ويسعد بسعادتهم وإن لم يكن منهم. وروى البخاري ومسلم[٤٣] - واللفظ للبخاري مرفوعاً - إن لله تعالى ملائكةً يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر. فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تبارك وتعالى تبادروا وقالوا: هلموا إلى حاجتكم. فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء. . .) فذكر الحديث إلى أن قال: (قال الله تعالى: أُشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول مَلَكٌ من الملائكة فيهم فلان ليس منهم. إنما جاء لحاجة، قال الله تعالى: هم القوم لا يشقى جليسهم).

ومن خواصهم أنهم مُعانون على ما يطلبون من الحوائج لقوله صلى الله عليه وسلم: (أكثِرْ ذكرَ الله فإنه عون لك على ما تطلب). يعني اذكر الله بالقلب فكراً، وباللسان ذكراً بأن تقول: لا إله إلا الله مع الإخلاص. فإن الذكر عون لك على ما تطلب لأنه مساعد لك على تحصيل مطلوبك. لأنه سبحانه وتعالى من كرمه، يحب أن يُذكَر ولو من فاسق. فإذا ذكره ثم دعاه أعطاه ما تمناه. ولهذا قال بعض السادة الصوفية: الإعراض عن الذكر يشوش الرزق ويضيق المعيشة كما يشهد له قوله تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً). وأخرج ابن عساكر[٤٤] أن أبا مسلم الخولاني[٤٥]

٤٣- مسلم بن الحجاج القشيري. ٢٠٤ - ٢٦١ هـ ٨٢٠ - ٨٧٥ م ولد بنيسابور وتوفي فيها. من أهم كتبه (صحيح مسلم) الذي يعتبر قرين صحيح البخاري.

٤٤- علي بن الحسن بن هبة الله ٤٩٩ - ٥٧١ هـ ١١٠٥ - ١١٧٦ م. مولده ووفاته في دمشق. محدث مؤرخ. له كتب كثيرة منها (تاريخ دمشق الكبير) ويعرف بتاريخ ابن عساكر.

٤٥- عبد الله بن ثُوَب ٠٠٠ - ٦٢ هـ ٠٠٠ - ٦٨٢ م. تابعي عابد زاهد. قبره في داريا قرب دمشق. أسلم قبل وفاة النبي ولم يره.

كان يُكثِر الذكر . فرآه رجل فقال : مجنون صاحبكم هذا . فسمعه فقال : ليس هذا بمجنون . هذا دواء المجنون يا ابن أخي .

ومن خواصهم أنهم لا وحشة عليهم عند الموت ولا عند سؤال القبر ولا عند النشر . وأن الله ينظر إليهم ولا يعذبهم أبداً. فقد ذكر الإمام الشعراني في كتاب "الميزان" ما نصه (وقد ذكرنا في كتاب "الأجوبة" عن أئمة الفقهاء والصوفية كلُّهم يشفعون في مقلِّديهم . ويلاحظون أحدهم عند طلوع روحه وعند سؤال منكر ونكير ، وعند النشر والحشر والحساب والميزان والصراط ، ولا يغفلون عنهم في موقف من المواقف . ولما مات شيخنا شيخ الإسلام الشيخ ناصر الدين اللقاني ، رآه بعض الصالحين في المنام ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : لما أجلسني الملَكان في القبر يسألانني ، أتاهم الإمام مالك فقال : مثلُ هذا يحتاج إلى سؤال في إيمانه بالله ورسوله ؟ تنـحَّيا عنه . فتنحيا عني) . وإذا كان مشايخ الصوفية يلاحظون أتباعهم ومريديهم في جميع الأهوال والشدائد في الدنيا والآخرة ؛ فكيف بأئمة المذاهب الذين هم أوتاد الأرض وأركان الدين وأمناء الشارع على أمته رضي الله عنهم أجمعين ؟ فطب نفساً يا أخي وقَرَّ عيناً بتقليد كل إمام شئت . والحمد لله رب العالمين . اهـ

ومن خواصهم أنهم إذا اجتمعوا على الذكر وتفرقوا ، قيل لهم : قوموا مغفوراً لكم . وروى الإمام أحمد[٤٦] - ورواته محتَجٌّ بهم في الصحيح إلا واحداً - مرفوعاً : (ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه ، إلا ناداهم منادٍ من السماء أن قوموا مغفوراً لكم . قد بُدِّلت سيئاتكم حسنات) .

ومن خواصهم أنهم أهل الطاعة لله والحبِّ في الله . تنزل على مساكنهم السكينة ، تُغَشّيهم الرحمةُ ، ويذكرهم الله فيمن عنده . وفي رواية : يذكرهم الله على عرشه . قال المناوي[٤٧] في "شرح الجامع الصغير" (وأُخذ منه فضلُ ملازمة الصوفية للزوايا والربطِ على الوجه المعروف .

٤٦- أحمد بن حنبل ١٦٤ - ٢٤١ هـ ٧٨٠ - ٨٥٥ م . إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة . ولد في بغداد ومات فيها . له (المسند) في الحديث النبوي . وموقفه مع المأمون والمعتصم في قضية خلق القرآن معروف .

٤٧- محمد عبد الرؤوف ٩٥٢ - ١٠٣١ هـ ١٥٤٥ - ١٦٢٢ م مصري من كبار العلماء . من كتبه (التيسير في شرح الجامع الصغير) اختصره من شرحه الكبير (فيض القدير) في الحديث .

أي : فكما يدفع الله بالمرابطين بالثغور عن المسلمين اقتحامَ العدو، فكذلك يدفع الله بأهل الزوايا المجتمعين على الذكر والطاعة أنواعَ البلايا. ويعود نفعُ ذلك على البلاد والعباد).

ومن خواصهم - أي الذاكرين - أن بقعتهم من الأرض التي يذكرون الله عليها تفتخر على غيرها من البقاع وتستنير وتستبشر بذكر الله إلى منتهى سبع أرضين. وأنهم أهل الكرم لقوله صلى الله عليه وسلم (يقول الرب عز وجل يوم القيامة : سيعلم أهل الجمع - أي الموقف - من أهلُ الكرم. قيل ومن أهلُ الكرم يا رسول الله ؟ قال : أهلُ الذكر في المساجد).

ومن خواصهم أن الصواعق والبلايا تتخطاهم وتُصرَفُ بهم عن الناس، وأنهم يُعطَوْن فوق ما يُعطى السائلون لاشتغالهم في الذكر. ففي الحديث القدسي أن الله تعالى يقول : من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضلَ ما أُعطي السائلون. قال سيدي عبد الوهاب الشعراني قدس الله سره (قلت : وذلك أنه لا يصحُّ لعبدٍ أن يجالس الحقَّ تعالى وعليه ذنبٌ أبداً. فلا بد من تطهره قبل مجالسة الحق تعالى بالتوبة النصوحة. ولذلك شرط في الحديث كونَهم يريدون بذلك وجهَه. فلو جلسوا للذكر رياءً وسمعةً لم يصحَّ لهم مجالسةُ الحق ولا تبدَّلُ سيئاتُهم حسناتٍ. فافهم والله أعلم. اهـ قال بعض العارفين (في الدنيا جنة هي في الدنيا كالجنة في الآخرة. فمن دخلها دخل تلك الجنة) يريد هذه المجالس. يعني مجالس الذكر لما يدركون فيها من سرور القلب وفرحِه بذكر الرب وانشراحِه ونوره وابتهاجه حتى قال بعض من ذاق هاتيك اللذة : لو علم الملوك بعضَ ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف. وقال آخر : إنه ليمرُّ بالقلب أوقات إن كان أهل الجنة في مثلها إنهم لفي طيب عيش. اهـ. قال الإمام الشعراني (فلازم يا أخي على الذكر وانصرُ أصحابه بالطريق الشرعي إكراماً لله تعالى وتعظيماً له). اهـ.

وكما حثَّ الشارع صلى الله عليه وسلم على حضور مجالس الذكر، نفَّر عن حضور مجالس الكذابين والخطائين. يقول الله سبحانه وتعالى : (والذين لا يشهدون الزور) أي لا يحضرون مجالس الزور والمنكر والبهتان. فلا ينبغي حضورها ولا قربها تنزيهاً عن مخالطة الشر وأهله وصيانةً لدينه. لأن مشاهدة الباطل شركة فيه.

٩ - تسويل الشيطان للذاكرين

لكن لما كان الذكر الصحيح يرقّي الذاكر في مدارج الكمال، ويوصله إلى أبواب ذي العزة والجلال، وبه يندحر الشيطان وينزوي وعن أهله يُطرَد ويلتوي عمداً إلى حزبه الغواة، فإنه يسول لهم أن يبتدعوا من أنفسهم ألفاظاً يزعمون أنهم بتردادها يكونون من الذاكرين وأنها قُربَةٌ يتقربون بها إلى رب العالمين لينسيهم بذلك ذكرَ الله ويثبطهم عن التوبة. فيكونون ممن أهواه هواه. وقد انتشر ذلك قديماً وحديثاً في الآفاق والبلدان. ونبَّه على حرمته في كل عصر فحولُ الأئمة الأعيان قياماً بواجب أحكام الله المتبعة، وإيضاحاً لما من الدين القويم شرعه. ليسلك كل عاقل منهج الاستقامة. ويطرح أفعال المبتدعين خلف ظهره فيفوز بالسلامة. وانظر إلى جمهور أهل السنة حيث اتفقوا على أن أسماء الله تعالى توقيفية. وهو مذهب أهل الحق والفرقة المرضية. فما ورد به الشرع يجوز إطلاقه عليه. وما لم يرد به الشرع لا يجوز تسميتُهُ به ونسبتُه إليه. ومقابل المختار مذهبُ المعتزلة وأبي بكر الباقلاّني [٤٨] القائلين بجواز إطلاق ما كان متَّصفاً بمعناه ولم يوهم نقصاً وإن لم يرد به توقيف. وهذا المذهب إما مردود وإما ضعيف.

وانظر إلى مذهب السادة الصوفية. ما من أحد منهم إلا كان يتعبد على مذهب إمام من مذاهب الأئمة المرضية. إذ جميع الصوفية مطبقون على صحة مذاهب الفقهاء وأن القرب إلى الله تعالى والهدى في اتباعهم وأنهم على هدىً من ربهم. قال سيدي مصطفى البكري رضي الله عنه:

ونعتقد مذاهب الأئمهْ فيها الهدى وهم هداةُ الأمهْ

والحقيقة لا وجود لها بدون الشريعة. قال القطب الدردير [٤٩] (الشريعة هي الأحكام الشرعية. والطريقة هي ينبوع الأخلاق المحمدية. والحقيقة هي الشرب من كؤوس الأوحدية). فأفاد رضي الله عنه أن الحقيقة هي ثمرة الشريعة ونتيجة الطريقة. فليس للحقيقة أهل غير أهل الشريعة. وقال

٤٨- محمد بن الطيب ٣٣٨ - ٤٠٣ هـ ٩٥٠ - ١٠١٣ م بصري سكن بغداد ومات فيها. من علماء الكلام. من كتبه (إعجاز القرآن). و (الإنصاف).

٤٩- أحمد بن محمد بن أحمد ١١٢٧ - ١٢٠١ هـ ١٧١٥ - ١٧٨٦ م. العدوي المشهور بالدردير. من فقهاء المالكية. ولد في بني عدي في مصر. وتوفي في القاهرة. من كتبه (فتح القدير) و (أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك).

سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه : (إياكم والدعاوى التي لا يشهد لها كتاب ولا سنة. فإنها سبب طردكم عن حضرة ربكم). فمادام الشخص ثابت العقل مختاراً فهو مخاطَب بالشريعة لا تسقط عنه بحال من الأحوال. فإن ادعى ذلك فهو زنديق. قال الأستاذ البكري في ألفيَّة التصوف :

ومن يخالفْ فعلُه الشريعهْ فذاك في مهامه القطيعهْ
إذ كل من خالفها زنديق وكل من خالقها صِدّيق [٥٠]

وقال رضي الله عنه في الوصية الجليلة : (إن أهل الطريق يجب عليهم أن لا يخطوا خطوة ينكرها الشرع عليهم. فإن من خالف الشريعة المحمدية تاه وضلَّ عن الطريقة المرضية. فالشريعة أصل والحقيقة فرعها. ومن لم يُحَكِّم الأصلَ لا ينتفع بالفرع). ولهذا كان سيد رؤساء هذه الطريقة أبو سليمان الداراني [٥١] قدس الله سره يقول : (ما حُرموا الوصول إلا بتضييعهم الأصول). فشريعةٌ بلا حقيقة عاطلة. وحقيقةٌ بلا شريعة باطلة. وانظر إلى كتب المتقدمين من الفقهاء من الصوفية تجدها مشحونة من ضبط الكلمة المشرَّفة وباقي أسماء الطرق، ومن التحذير من التحريف فيها. وبعضهم أفرد الذكر بالتأليف نثراً ونظماً. وشنَّع تشنيعاً شديداً على من لم يُراع قانونه الشرعي. وهذا غاية الإنكار منهم رحم الله السابقين وحفظ وجود المعاصرين وجزى الجميع عن أمة محمد خيراً.

١٠- الكلام على الجلالة

وهنا أنقل بعض ما ذكروه في مصنفاتهم على ضبط كلمة الجلالة.

في "جوهرة الخاص" في أجوبة مسائل كلمة الإخلاص للعارف بالله تعالى سيدي محمد العمري [٥٢] (المسألة الثانية عشرة قوله ما يجب قصره فيها ولا يجوز مَدُّه. الجواب : يجب قصر الهاء من "إله" لأنه إذا مدَّ صار مثنى. وقصر اللام من "إلا" أيضاً لالتقاء الساكنين. وفُقِد سببُ

٥٠- المهامه جمه مهمه. وهو الصحراء المنقطعة. وخالقها يعني تخلَّق بها وعمل بمقتضاها.

٥١- عبد الرحمن بن أحمد العنسي ٠٠٠ - ٢١٥ هـ ٠٠٠ - ٨٣٠ م. زاهد من داريا في غوطة دمشق. رحل إلى بغداد وعاد إلى بلده ومات فيها. متصوف له أخبار في الزهد.

٥٢- محمد شاكر بن علي العمري ١١٥٧ - ١٢٢٢ هـ ١٧٤٤ - ١٨٠٧ م فقيه حنفي دمشقي تصدى للتدريس صغيراً. فكان أكثر معاصريه من تلامذته. من كتبه (جوهرة الخاص).

المد وهو عدم الهمزة بعد حرف المد وهو الألف. والله أعلم. المسألة الثالثة عشرة والرابعة عشرة قوله: هل يجوز إبدال الهمزة ياءً من "لا إله" ومن "إلا الله" بعد فتح الهاء؟ الجواب: لا يجوز إبدالها ياءً لا في تلاوة القرآن ولا في الذكر اختياراً لأنها تصير "لا يله" و "يلا الله". وهذا خلاف ما أنزل الله تعالى في كلامه الفصيح والله أعلم. المسألة الخامسة عشرة هل يجوز مدُّ همزة "إلا" المكسورة أم لا؟ الجواب: لا يجوز ذلك اختياراً فإنها تصير "إي لا الله" لأن إي حرف جواب مثل نعم. فتخرج عن المعنى المقصود وهو الاستثناء إلى معنى الجواب. وهذا أيضاً خلاف ما أنزل الله والله أعلم. المسألة السادسة عشرة والسابعة عشرة هل يجوز تسكين الهاء من "إله" في حال التلاوة أو الذكر أو لابد من تحريكها؟ وما المحذور منه في تسكينها اختياراً من التالي أو الذاكر؟ الجواب تقدم بأنها مبنية على حركة الفتح. والسكون لا يكون إلا عن كلام تمَّ. فلا يجوز تسكينها بغير سبب كسكتة تنفس أو نحو ذلك. لأنه إذا تعمد الوقفَ عليها بالسكون فكأنه أتم الكلام. فيلزم عليه نفيُ جميع الآلهة وهو تعطيل. ونعوذ بالله من اعتقاد التعطيل. فليحذر من ذلك والله أعلم. المسألة الثامنة عشرة هل قول الذاكر "ألله ألله" يحتاج إلى تأويل خبر أم لا؟ الجواب: أما من حيث الأكمل فيحتاج إلى خبر ليتم المعنى لا من حيث إنه يسمى ذكراً. فإنه يسمى ذكراً بدون ذلك. لأن صيغ الذكر وضعت للتعبد بها ولو من غير تأويل خبر) اهـ

وفي "السير والسلوك" للعارف بالله تعالى سيدي قاسم الخاني[٥٣] الخلوتي عند ضبط الكلمة المشرفة قال: (بمد لفظة "لا" وتحقيقِ همزة "إله" وفتحِ هائه فتحة خفيفة وتسكين آخر لفظ الجلالة. ولا تفصل بين الهاء وقولك "إلا الله". وإياك أن تتهاون في تحقيق همزة "إله". فإنك إذا لم تحققها قُلِبَتْ ياءً وصار ذكرك "لا يله إلا الله". وهذه ليست كلمة التوحيد. فلا ثواب بتكرارها ولا تأثير).

وفي "شرح الخريدة" للقطب الدردير عطفاً على آداب الذكر أن يحقق الهمزة. ويمد ألف "لا" مداً متوسطاً. ويفتح هاء "إله" فتحة خفيفة. ويمد ألف "إله" وألف "الله" مداً طبيعياً. ويأتي بالهاء من "الله". اهـ

٥٣- قاسم بن صلاح الدين ١٠٢٨ - ١١٠٩ هـ ١٦١٩ - ١٦٩٧ م متصوف من حلب. سافر في الأقطار وعاد إلى حلب. من كتبه (السير والسلوك إلى ملك الملوك). والخلوتية طريقة في التصوف أسسها مصطفى ابن كمال الدين البكري الدمشقي المولود عام ١٠٩٩ هـ

وفي "تحفة السالكين ودلالة السائرين" للعارف بالله تعالى سيدي محمد المنير السمنودي [٥٤] خليفة الشيخ الحفني [٥٥] : (وليحذر من اللحن في "لا إله إلا الله" لأنها من القرآن، فيمد على اللام بقدر الحاجة، ويحقق الهمزة المكسورة بعدها ولا يمد عليها أصلاً، ويفتح هاء "إله" فتحة خفيفة، ولا يفصل بين الهاء وبين "إلا الله". وإياك أن تتهاون في تحقيق همزة "إله". فإنك إن لم تحققها قُلبت ياءً. وكذا همزة "إلا". وتسكن آخر لفظة الجلالة). ثم قال: (ويحترز عن تمطيط الذكر والعجلةِ الشديدة لأنها تُخرج الذكر عن حده. فالميزانُ أن لا يُخرجوه عن حده الشرعي). اهـ

وقال العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه المسمى بالنفحات القدسية: (وليحذر الذاكر من اللحن في "لا إله إلا الله" فإنها من القرآن. فيمد على لام النفي بقدر الحاجة، ويحقق الهمزة المكسورة. ولا يمد بعدها عليها أصلاً. ويمد على اللام التي بعدها مداً طبيعياً. وينطق بالهاء بعدها مفتوحة بغير مد بالكلية. ثم ينطق بالهمزة من حرف الاستثناء مكسورة محققة بغير مد أيضاً. ولا يمد على لام "ألف" بعدها مداً. ثم ينطق بالجلالة فيمد على "الله". ويقف على حرف الهاء بالسكون إن وقف). اهـ. ثم كرر ذلك وقال (ولا يمد على الهمزة المكسورة بعد النفي لأنه لا مد عليها عند القراء. وإنما ذلك فساد يوجب ياءً بعد الهمزة. وكذلك ينبغي اجتنابُ المد على الهاء من "إله" لأنه يتولد منه ألف. وذلك تحريف للقرآن). اهـ. والاجتناب هنا معناه الوجوب بلا شك بدليل قوله "وذلك تحريف للقرآن".

ثم قال سيدي علي بن ميمون [٥٦] : (وهذه كلها بدع أحدثها فقراء الروم والعجم. واتِّباعُ السنة المحمدية أولى). أي أجدر وأحرى. وفي شرح الولي الكبير والعلم الشهير سيدي محمد السنوسي [٥٧] على صغراه: (أما ضبط هذه الكلمة فينبغي للذاكر أن لا يُطيل مدَّ ألف "لا" جداً،

٥٤- محمد بن حسن بن محمد الأزهري المعروف بالمنير. ١٠٩٩ - ١١٩٩ هـ ١٦٨٨ - ١٧٨٥ م فقيه شافعي. ولد في سمنود في مصر وتوفي في القاهرة. كتابه (تحفة السالكين) في التصوف.

٥٥- محمد بن سالم الحفني ١١٠١ - ١١٨١ هـ ١٦٩٠ - ١٧٦٧ م. فقيه شافعي مصري. من كتبه (حاشية على الجامع الصغير للسيوطي).

٥٦- علي بن ميمون ٨٥٤ - ٩١٧ هـ ١٤٥٠ - ١٥١١ م مغربي رحل إلى لبنان ومات فيه. عكف على غزو الإفرنج في السواحل. من كتبه (تنزيه الصديق عن صفات الزنديق) دفاعاً عن ابن عربي.

٥٧- محمد بن يوسف السنوسي الحسني ٨٣٢ - ٨٩٥ هـ ١٤٢٨ - ١٤٩٠ م عالم تلمسان في عصره. من كتبه (الحفيدة الصغرى) و (شرح صغرى الصغرى). وهو المشار إليه.

وأن يقطع الهمزة من "إله" . إذ كثيراً ما يلحن بعض الناس فيردها ياءً . وكذا يُفصح بالهمزة من "إلا" ويشدد اللام بعدها . إذ كثيراً ما يلحن بعضهم فيرد الهمزة ياءً أيضاً ويخفف اللام . وأما كلمة الجلالة والتعظيم التي بعد "إلا" فلا يخلو إما أن يقف عليها الذاكر أو لا . فإن وقف تعيَّن السكون لا غير . وإن وصلها بشيء آخر كأن يقول "لا إله إلا الله وحده لا شريك له" فله فيها وجهان : الرفع وهو الأرجح . والنصب وهو مرجوح) . اهـ.

وفي شرح العلامة السجاعي[٥٨] على "الحفيدة" للعارف السنوسي عطفاً على ما ينبغي للذاكر حال ذكره : (ولا يُطيل ألف "لا" جداً، وأن يقطع الهمزة من "إله" . ولا يبدلها ياءً كما يفعله كثير من العوام، وأن يأتي بالهمزة من "إلا الله" ، ويفتح الهاء من "إله" . وأما الهاء من "الله" فيجوز رفعها ونصبها) . اهـ. قال في "الجوهر الخاص" [٥٩] : (المسألة الثالثة والعشرون قوله : هل يُشترط في الذكر بالجلالة أن تكون مفسَّرَةَ الأحرف كلُّها ؟ الجواب نعم يشترط ذلك مادام واعياً . وقال العارف بالله تعالى سيدي يوسف العجمي[٦٠] رحمه الله تعالى في رسالته (آداب الذكر) : إنما تُلزم الذاكر مادام واعياً في عقله ومختاراً في ذكره . وأما إذا غاب عقله ، فلغيبته أحكامٌ يدركها صاحبها أو لا يدركها . وأما إذا سَلَبَ الذكرُ اختيارَ الذاكر ، فلا حرج على الذاكر مادام مسلوب الاختيار أن يستعمله كيف يشاء على أنواع مختلفة كلُّها محمودةٌ وصاحبها مشكورٌ عليها . فإنها كلها أسراره . فربما يجري على لسانه "الله ألله ألله "أو هو هو هو" أو "لا لا لا" أو "آآآ" بالمد ؛ أو عياط بغير حرف أو صرَع أو تخبيط . فأدبُه أن يُسْلِمَ نفسه لوارده يتصرف فيه كيف يشاء . فإذا أرادوا التحلُّقَ فليجلس الشيخ أو المأذون وحوله الإخوان أو المريدون . إن شاء قرأ ورد السعدية الكبير أو الصغير . أو قرأ غيرَه من أحزاب وأوراد حسبما تلقاه عن شيخه وإلا ترك . وليقرأ قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي ... الآية) بعد أن يستغفر كل منهم ويتوب ليصلح لمجالسة علاّم الغيوب . وليقرؤوا جميعاً هذه الصيغة وهي (اللهم صلِّ على سيدنا محمد في الأولين . وصلِّ وسلم على سيدنا محمد في الآخرين . وصل وسلم على سيدنا محمد في كل

٥٨- أحمد بن محمد ٠٠٠ - ١١٩٧ هـ ٠٠٠ - ١٧٨٣ م فقيه شافعي مصري . له تصانيف كثيرة

٥٩- عاد الشيخ إلى مسائل جوهرة الخاص لمحمد العمري .

٦٠- يوسف بن عبد الله الكردي ويعرف بالعجمي ٠٠٠ - ٧٦٨هـ ٠٠٠ - ١٣٦٧ م مات في مصر . متصوف . له رسالة (آداب الذكر) .

وقت وحين. وصل وسلم على سيدنا محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدين. وصل وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين. وعلى الملائكة المقربين. وعلى عباد الله الصالحين من أهل السماوات والأرضين. ورضي الله تبارك وتعالى عن أصحاب رسول الله أجمعين. وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. واحشرنا وارحمنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين. ياألله يا حي يا قيوم. لا إله إلا أنت. يا ألله يا ربنا يا واسع المغفرة يا أرحم الراحمين. اللهم آمين).

فإذا أتموها يشرع الشيخ يعلمهم آداب الذكر، ويشوِّقهم ويرغِّبهم بذكر ما ورد في فضل الاجتماع، ويحثهم على ذكر الله تعالى على قدر إمكانه، لأنه من كان عالماً لذلك يكون تذكاراً له لأجل أن يتنبه. ومن كان جاهلاً يتعلم. وذلك بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي أظهر الحق وأوضح السبيل. ورفع جيدَ السنة وخفض هامة الأباطيل. والصلاة والسلام على سيدنا محمد الناطق بأسماء مولاه كما جاء بها التنزيل. وعلى آله وصحبه الذين تركوا زخرف البدعة وعولّوا على سنته غاية التعويل. أما بعد. فإن الذكر الذي يُلقَّن للمريد في طريقتنا أولاً " لا إله إلا الله ". وللاشتغال بهذا الذكر آداب. وهي الحضور وفهم المعنى وطردُ الخواطر عن القلب وخلعُ الأكوان والانفراد للرحمن والتخلي عما سوى الله تعالى وطهارةُ الثوب والبدن والوضوءُ وتغميضُ العينين وخفضُ الصوت فوق السر دون الجهر كما قال الله تعالى في كتابه العزيز " واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدوِّ والآصال ولا تكن من الغافلين ".

١١ – كيفية التحلق على الذكر

ونذكر من الأحاديث الشريفة فيما ورد في فضل الاجتماع على ذكر الله تعالى على حسب ما يقتضيه الحال. فإذا فرغ أطرق الشيخ أو المفتتح رأسه جامعاً حواسه، مستأذناً حضرته صلى الله عليه وسلم في دخول حضرة مولاه. فإنه بيده الكريمة مقاليدُ خزائن أسرار حضرة الله تعالى، ومستأذناً أيضاً جناب الحق تعالى في دخول حضرته العلية والتمتع بجنة مشاهدته السنية؛ وليرفع رأسه بالذكر مكرراً كلمة التوحيد ثلاثاً على حسب ما تقدم من الأحكام. ثم يشرعون في الذكر، مصححين مبناه ملاحظين معناه، مستحضرين جلال مولاهم، هائمين في جمال من بفضله خصهم وحباهم، متمايلين تلذذاً بذكراه، مهتزين طرباً وشوقاً إلى لقاه. ثم ينتقل إلى الاسم المفرد وهو

"الله" مع عدم تغيير الاسم الشريف. ويلزمه أن يُجريَه على قواعده. قال القطب الدردير في كيفية الذكر بالجلالة: وأن يذكر بهمة تامة ويميل برأسه إلى جهة اليمين بـ "لا". ويرجع بـ "إله" إلى صدره، وبـ "إلا الله" إلى جهة القلب وهي اليسار. حتى تنزل "الجلالة" على القلب لتُحرقَ سائر الخواطر الردية، ويحقق الهمزة ويمد الألف مداً طبيعياً، ويفتح الهاء من "إله"، ويسكِّن الهاء من "الله". وكذا بقية الأسماء فينطقها من سرُته وينزل بها على قلبه. وأن يصغي حالةَ الذكر إلى قلبه مستحضراً للمعنى حتى كأن قلبه هو الذاكر.

١٢ - الجهر بالذكر

وليكن الذكر جهراً. ففي "المنح السنية" ما نصه (وقد أجمعوا على أنه يجب على المريد الجهرُ بالذكر. وإن ذكر السر والهوينا لا يفيد رُقِيّاً. وينبغي أن يكون الجهر برفق. فإنه إذا كان بغير رفق ربما يتربى له فتاق فيتعطل جهره). وأيضاً ربما أدى إلى عَقْر الصوت وهو مكروه كما ذكره العلامة عبد الباقي[٦١] في "شرح العزية" عند ذكر التلبية قال: (يُستحبُّ التوسط في ذكرها وفي علو الصوت بها. ويُكره رفعهُ بها حتى لا يقصره. وكذا بسائر الأذكار). اهـ. وليكن بقوة تامة. ففي المنح أيضاً (وقد قالوا: إذا ذكر المريد ربه بشدة وعزم طُويت له مقامات الطريق بسرعة من غير بطء. فربما قطع في ساعة ما لا يقطعه غيره في شهر أو أكثر). وقالوا: يجب على المريد أن يذكر بقوة تامة بحيث لا يبقى فيه متسع. ويهتز من فوق رأسه إلى إصبع قدميه. والدليل على ذلك قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة). فكما أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة، كذلك الذكر لا يؤثر في جمع شتات قلب صاحبه إلا بقوة. وليكن مع التعظيم. أي يستحضر الذاكر عظمة الحق تبارك وتعالى قبل الشروع في الذكر. قال الشيخ أبو بكر الكتاني[٦٢] رحمه الله تعالى: (من شروط الذكر أن يصحبه الجلال والتعظيم له تعالى وإلا لم يفلح صاحبه في مقامات الرجال). وكان يقول: (والله لولا أنه تعالى فرض عليَّ ذكره لما تجرأت أن أذكره إجلالاً له).

٦١- عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ١٠٢٠ - ١٠٩٩ هـ ١٦١١ - ١٦٨٨ م ولد ومات في مصر. فقيه مالكي. من كتبه (شرح مختصر سيدي خليل) و (شرح العزية).

٦٢- أبو بكر الكتاني ٠٠٠ - ٣٢٢ هـ ٠٠٠ - ٩٣٤. متصوف صحب الجنيد والخراز.

١٣ - الهزُّ والتمايل

وأما التمايل عند التهليل فقد قال الإمام الشعراني في "الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية" : (ومما أنكروه على القوم تمايلُهم يميناً وشمالاً عند قول "لا إله إلا الله" وقالوا لم يرد بذلك نص. وإنما ورد الحثُّ على ذكر الله من غير ذكر تمايل. والجواب أن الحافظ أبا نعيم[٦٣] روى عن الفُضَيل بن عياض[٦٤] أنه قال : (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكروا الله تعالى تمايلوا يميناً وشمالاً كما تتمايل الشجرة في الريح العاصف إلى قدام ثم ترجع إلى وراء). وفي "تحفة الإخوان" للقطب الدردير ما نصه (ولا يعيبهم ذكر الله قياماً أو قعوداً أو هَزُّهُم في الذكر والإنشاد الذي يقع فيه هذا. وليس هذا بخفة كما يزعم المنكرون. فإن للذكر حلاوة ومخامرة باطنية يعلمها أربابها. فتقتضي هذه الحالةُ شدةَ الهز كما أشار إليه الغوث سيدي أبو مدين المغربي بقوله :

يا حادي العشاق قم واحْدُ قائما ... وزمزم لنا باسم الحبيب وروِّحْنا
وصُنْ سرنا في سكرنا عن حسودنا ... وإن أنكرت عيناك شيئاً فسامحنا
فإنا إذا طبنا وطابت نفوسنا ... وخامرنا خمرُ الغرام تهتَّكنا

وكما قال غيره :

ولما اجتلاك الفكر في خلوة الرضا ... وغيِّبتَ قال الناس ضلت بك الأهوا
لعمرك ما ضل المحب وما غوى ... ولكنهم لما عَموا أخطؤوا الفتوى

انتهى كلام القطب رضي الله عنه. وفيه تجويز للهز والإنشاد معاً. وفي حاشية شرف القاهرة وقطب الدائرة سيدي عمر الفارض[٦٥] رضي الله عنه :

وإذا ذكرتكمو أميل كأنني ... من طيب ذكركمو سُقيت الراحا

٦٣- أحمد بن عبد الله ٣٣٦ - ٤٣٠ هـ ٩٤٨ - ١٠٣٨ م ولد ومات في أصبهان. مؤرخ من الثقات. من كتبه (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء).

٦٤- الفضيل بن عياض التميمي اليربوعي ١٠٥ - ١٨٧ هـ ٧٢٣ - ٨٠٣ م شيخ الحرم المكي. ثقة في الحديث. أخذ عنه كثيرون منهم الإمام الشافعي.

٦٥- عمر بن مرشد ٥٧٦ - ٦٣٢ هـ ١١٨١ - ١٢٣٥ م حموي الأصل مصري المولد. يلقب بسلطان العاشقين. من أشهر المتصوفين. له ديوان شعر كثر شارحوه.

وقال ابن كمال باشا[٦٦] ونقله العلامة السيد محمد بن عابدين في حاشيته "رد المحتار" في الجزء الثالث في مطلب مستحلّ الرقص :

ما في التواجد إن حققت من حرج و لا التمايل إن أخلصت من باس
فقمت تسعى على رجل وحقّ لمن دعاه مولاه أن يسعى على الراس

وفي المختار[٦٧] (وفي الحديث أنه مر على أصحاب الدركلة فقال : خُذوا يا بني أرفده حتى تعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة) اهـ. والدركلة بكسر الكاف ضرب من الرقص. وبنو أرفده جنس من الحبش يرقصون. وفي حاشية المحقق الأمير على شرح المختصر للعلامة عبد الباقي أن الرقص اختلف فيه العلماء الفقهاء. فذهبت طائفة إلى الكراهة منهم القفّال[٦٨] .

وذهبت طائفة إلى الإباحة. منهم إمام الحرمين[٦٩] والعماد[٧٠] والسهروردي[٧١] والرافعي[٧٢] والغزالي[٧٣] واحتجوا بما روته عائشة رضي الله عنها في الصحيح من رقص الحبشة في المسجد يوم

٦٦- أحمد بن سليمان بن كمال باشا ٠٠٠ - ٩٤٠ هـ ٠٠٠ - ١٥٣٤ م. تركي مستعرب. قاض من العلماء بالحديث. من كتبه (طبقات الفقهاء).

٦٧- يقصد بالمختار كتاب ابن عابدين الأب (الدر المختار).

٦٨- عبد الله بن أحمد ٣٢٧ - ٤١٧ هـ ٩٣٨ - ١٠٢٦ من مرو. كان يشتغل في صناعة الأقفال قبل أن ينصرف إلى الفقه. شافعي له كثير من الآثار.

٦٩- عبد الملك بن عبد الله الجويني ٤١٩ - ٤٧٨ هـ ١٠٢٨ - ١٠٨٥ م. أعلم المتأخرين بفقه الشافعي. جاور مكة وذهب إلى المدينة. من كتبه (نهاية المطلب في دراسة المذهب).

٧٠- محمد بن محمد بن علي ٨٢٥ - ٨٨٧ هـ ١٤٢٢ - ١٤٨٢ م. مصري شافعي يعرف بابن العماد نسبة لوالده. من كتبه (كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر).

٧١- عمر بن محمد بن عبد الله ٥٣٩ - ٦٣٢ هـ ١١٤٥ - ١٢٣٤ م القرشي. ولد في سهرورد وتوفي في بغداد. وكان شيخ الشيوخ فيها. شافعي متصوف. من كتبه (عوارف المعارف).

٧٢- عبد القادر بن مصطفى ١٢٤٨ - ١٣٢٣ هـ ١٨٣٢ - ١٩٠٥. ولد في طرابلس الشام وتعلم في الأزهر وعلت شهرته في فقه الحنفية حتى سمي بأبي حنيفة الصغير. توفي في القاهرة. من كتبه (تقرير على الدر المختار) في الفقه

٧٣- محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد ٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ - ١١١١ م. حجة الإسلام. مولده ووفاته في خراسان. فيلسوف متصوف. من كتبه (إحياء علوم الدين).

العيد، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها فوضعت رأسها على منكبه. قالت : فجعلت أنظر إليهم حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم، وبأن زيداً وجعفر وعلياً خجلوا لِما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثناء. فقال لعلي رضي الله عنه : أنت مني بمنزلة هارون من موسى. وقال لجعفر : أشبهت خَلْقي وخُلُقي. وقال لزيد : أنت منا ومولانا.

وفيها أيضاً [٧٤] عن أبي المواهب المالكي الشاذلي [٧٥] أنه سمع من غير واحد عن الشيخ قاضي القضاة شمس الدين البساطي [٧٦] رحمه الله تعالى أنه كان يرقص في السماع. قال - أي الشاذلي - وأخبرني من شاهده وهو معتنق مع ولي الله الكبير سيدي علي وفا [٧٧] رضي الله عنه.

والإمام البساطي من أعيان المالكية. وقد ترجمه المحقق - أي المحقق الأمير - في حاشيته على شرح العزية للعلامة عبد الباقي - أي الزرقاني - فراجِعْها إن شئت.

وذكر صاحب "نزهة المجالس" [٧٨] أن أبا بكر أنفق ماله في سبيل الله وأعتق عبيده حتى تخلل بالعباءة. فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم متخللاً بعباءة فقال : يا محمد : إن ملائكة السماء تخللت بالعباءة إكراماً لأبي بكر. يا محمد أقرئ أبا بكر السلام من الله وقل له إن ربك عليك راض فهل أنت عنه راض ؟ فقال أبو بكر إني عن ربي راض، إني عن ربي راض، إني عن ربي راض. قيل : وصار يفتل كالدولاب. وعنه أخذت الصوفية دورانهم بالهوية.

٧٤- أي في حاشية (رد المحتار) لابن عابدين الابن على حاشية والده (در المختار).

٧٥- جمال الدين محمد أبو المواهب. ٠٠٠ - ٨٠٠ هـ ٠٠٠ - ١٣٩٧ م. فقيه مالكي متصوف.

٧٦- محمد بن أحمد بن عثمان الطائي ٧٦٠ - ٨٤٢ هـ ١٣٥٩ - ١٤٣٩ م. فقيه مالكي قاض. ولد في بساط في مصر ومات في القاهرة. من كتبه (شفاء الغليل في مختصر الشيخ خليل).

٧٧- علي بن محمد بن محمد وفا ٧٥٩ - ٨٠٧ هـ ١٣٥٧ - ١٤٠٥ م. متصوف مصري مالكي. من كتبه (الوصايا) و (الباعث على الخلاص في أحوال الخواص).

٧٨- عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري ٠٠٠ - ٨٩٤ هـ ٠٠٠ - ١٤٨٩ م. نسبته إلى صفورية في الأردن. شافعي أديب. له (نزهة المجالس ومنتخب النفائس)

وذكر ابن أبي بكر المُقْري[٧٩] في كتابه "عنوان الشرف" في باب الشهادات ما نصه (وفي الغناء والشعر والدف أخبارٌ سابقة تقضي بجوازه وإباحته ماعدا العود والآلات التي أُخِذت للهو فقط. وأباحوا الرقص بغير تكسر) اهـ. لكن ينبغي أن يُقَيد الرقص بما ليس فيه تثَنٍ وتخنث، أي لين وتكسر. وسأذكر إن شاء الله تعالى صورة ما كتبه المفتي الخيري من السادة الحنفية والمفتي الخليلي من السادة الشافعية وسطروه في فتاواهم في هذا البحث.

١٤ - الكلام على حدو الحادي وشدو الشادي

أما حدو الحادي وشدو الشادي فلا بأس به إذ هو ديدن صدور أهل الحضرة الإلهية، وبُدور أهل الطريقة السوية كأبي المواهب الشعراني، والأستاذ البكري، والشمس الحفني، والقطب الدردير، وغيرهم من الأكابر كما هو معلوم بالتواتر عنهم ومرسوم في رسائلهم. فلا يسوغ إنكاره.

وأما ما ورد فيه من النهي والتحذير فمحمول على التفاحش به وإخراجه عن قانون الأدب من ذكر الخدود والقدود والشعور والخمور والأعطاف والأرداف؛ مع أن السامع مولع في الشهوات[٨٠] حليف الهوى. فلو استعمل على هذا الوجه في مجلس الذكر الشريف لا يخالف أحد في منعه. لأن ذلك مخلٌ بتعظيم أسمائه تعالى. وفيه من قلة الأدب ما فيه نسأل الله العافية. قال المحقق في النتائج: (وأما إذا غنى لهم منشدٌ حالةَ الذكر، فهناك راغوا[٨١] ألحانه وحركاته وجعلوا الذكر تابعاً للهوى في نُهْزاته. أفلا يعلمون أن كلمة الله هي العليا ولذكر الله أكبر). إلى أن قال: (ويشتغلون عن الذكر بسماع مغاني الشعر ويتباهون. والشعراء يتبعهم الغاوون. أفلم يسمعوا حديث "أنا جليس من ذكرني"؟ فمن هذا الذي يقول: أنا ملك الملوك وإله الآلهة الكبير المتعال؟ أفلا ينظر الإنسان كيف يجالسه ويذكره وهو يقول: اذكروني أذكركم؟ فلتنظر كيف ذكرُك له لتعلم كيف يذكرك).

٧٩- إسماعيل بن أبي بكر الحسيني اليمني ٧٥٥ - ٨٣٧ هـ ١٣٥٤-١٤٣٣ م باحث. من كتبه (عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي).

٨٠- كذا، والصواب "مولع بالشهوات".

٨١- راغوا: طلبوا بشدة وإلحاح. والنُهزات جمع نُهْزة الغنيمة. هذه نُهزة فاختلسها.

١٥ - سماع الإنشاد

وأما إذا خلا عن تلك المقاصد، وعَرِي عن هذه المفاسد، وكان موقظاً للألباب الغافلة، ومنشطاً للنفوس المتكاسلة، ومهيِّجاً لشوق القلوب لحضرة علام الغيوب، فلا يصح النهي عنه. بل هو إلى الطلب أقرب. فإن الوسائل إلى المطلوب مطلوبة. والطرقُ الموصلة إلى المحبوب محبوبة. ففي فتاوى البزازية[٨٢] ما نصه (وأما سماع الإنشاد المحركِ للأحوال السنية، المذكِّرِ لما يتعلق بالآخرة فلا بأس به. بل يُندب إليه عند الفتور وسآمة القلوب. لأن الوسائل إلى المندوب مندوبة). وفي شرح الشيخ الأمير لمنظومة السجاعي في العروض (ولا يُذَمُّ - أي الشعر - بماورد "وما علمناه الشعر وما ينبغي له" فإن ذلك لحكمة إمساك ألسنة السفلة حتى لا يعبأ بقولهم شاعر. وقد كان يعجبه ويطلبه ويصغي إليه ويُجيز عليه. ولا بنحو قوله تعالى "والشعراء يتبعهم الغاوون ... "الآية فبعد ذلك" إلا الذين آمنوا إلخ . . . ". قال ابن رواحة[٨٣] رضي الله عنه: (علم الله أني من الشعراء فقال ذلك). ولا بما ورد أيضاً "لأن يُملأ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يملأ شعرا". فإن ذلك لعوارض نهي الشارع عنها، كذمِّ من لا يُذم ومدح من لا يُمدح، وإلا فقد ورد "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً". وروى الديلمي[٨٤] في الفردوس (تعلموا الشعر فإنه يُعرب ألسنتكم). وروى فيه أيضاً (تعلموا من الشعر حكمة). وفي الجامع الصغير - للسيوطي - (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشعر بمنزلة الكلام، فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام). وأمثاله نقلها المناوي في "كنوز الحقائق" (وقد فعله الأفاضل قديماً وحديثاً). اهـ. وفي حاشية العارف الصاوي[٨٥] على شرح القطب الدردير لخريدته ما نصه (وكل شعر فيه النبوة أوالإسلام أو

٨٢- لصاحبها محمد بن شهاب الدين الكردي الخوارزمي الشهير بالبزازي. ٠٠٠ - ٨٢٧ هـ ٠٠٠ - ١٤٢٤م من كتبه (الجامع الصغير) في فقه الحنفية. وتعرف بالفتاوى البزازية.

٨٣- عبد الله بن رواحة ٠٠٠ - ٨ هـ ٠٠٠ - ٦٢٩ م. أنصاري من الخزرج. من الشعراء الراجزين. شهد مع النبي المواقع واستشهد في معركة مؤتة.

٨٤- شيرويه بن شهردار. أبو شجاع الديلمي ٤٤٥ - ٥٠٩ هـ ١٠٥٣ - ١١١٥ م. مؤرخ عالم بالحديث. له (فردوس الأخبار) اختصره ابنه شهردار وسماه (مسند الفردوس).

٨٥- أحمد بن محمد الخلوتي الشهير بالصاوي ١١٧٥ - ١٢٤١ هـ ١٧٦١ - ١٨٢٥ م. فقيه مالكي مصري. من كتبه (حواش على بعض كتب الشيخ أحمد الدردير) في فقه المالكية.

الحكمة أو الزهد أو مكارم الأخلاق أو حثٌّ على طاعته أو اجتنابِ معصيته، فإنشادُه واستماعهُ طاعةٌ لأنه وسيلة إلى الطاعة. فقد صح أن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان له شعراء يصغي إليهم في المسجد وغيره، منهم حسان وابن رواحة).

وفي "مفاتيح الكنوز" للعلامة ابن غانم المقدسي[٨٦] ما نصه (واعلم أنه قد حضر السماعَ وسمع، وما قنع بالسماع حتى كشف القناع، وتواجد وتحرك كثيرٌ من الأكابر والمشايخ والتابعين). وسمع من الصحابة عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عمر، جاءت عنهم آثار في إباحة السماع. وسمع من الصحابة عبدُالله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، ومعاوية، وغيرهم رضوان الله عليهم. وممن قال بإباحته من السلف مالك بن أنس. وأهل الحجاز يبيحون الغناء.

وأما الحُداء فأجمع الكل على إباحته. وكان ابن جُرُيْج[٨٧] يُرخِّص في السماع. فقيل له: إذا أُتِيَ بك يوم القيامة ويؤتى بحسناتك وسيئاتك. ففي أي الجانبين يكون سماعك؟ فقال: لا في الحسنات ولا في السيئات. يعني أنه من المباحات. وقد روى أبو طالب المكي[٨٨] في كتابه بإسناده أن رجلاً دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرؤون القرآن وقوم ينشدون الشعر. فقال: يا رسول الله. قرآن وشعر؟ فقال: من هذا أَمَرَةٌ ومن هذا أمرة[٨٩]. وقد روى القشيري في رسالته عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن عائشة رضي الله عنها أنها أنكحت ذات قرابتها من الأنصار. فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أهديتم الفتاة؟ فقالت نعم. قال: فأرسلْتِ من يغني؟ قالت: لا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الأنصار فيهم غزل. لو أرسلتم من يقول:

أتيناكم أتيناكم ... فحيانا وحياكم

٨٦- علي بن محمد بن علي ٩٢٠ - ١٠٠٤ هـ ١٥١٤ - ١٥٩٦ م. مقدسي الأصل مولده ووفاته في القاهرة. أحد أكابر الحنفية في عصره.

٨٧- عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج. ٨٠ - ١٥٠ هـ ٦٩٩ - ٧٦٧ م. أصله من موالي قريش. كان إمام أهل الحجاز في عصره. فقيه الحرم المكي.

٨٨- عمرو بن عثمان بن كرب ٠٠٠ - ٢٩٧ هـ ٠٠٠ - ٩١٠ م. صوفي عالم بالأصول. له مصنفات كثيرة في التصوف. مكي مات في بغداد.

٨٩- الأمرة هي البركة والزيادة. يقولون: ألقى الله في مالك الأمرة.

١٦ - إنشاد الأشعار بين يديه (ص)

إلى أن قال - أي أبوطالب المكي - : وأما الصوت الطيب بشعر موزون فقد صحت الأخبار وتواترت الآثار بإنشاد الأشعار بالأصوات الطيبة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان يوضع لحسان [٩٠] منبر في المسجد يقوم عليه يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول : إن الله يؤيد حساناً بروح القدس ما نافح وفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقالت عائشة رضي الله عنها : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأشعار وهو يبتسم. ولما أنشده نابغة شعراً قال : لا يفضض الله فاك. وأنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت [٩١]. يقول في ذلك هيه هيه. أي زد. ثم قال : إن كان ذلك من شعره لَيُسلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يُحدى له في الشعر. وأن أنجشة [٩٢] كان يحدو للنساء والبراء بن عازب كان يحدو للرجال. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنجشة كيف سوقُك بالقوارير ؟ " والعرب تكنّي بالمرأة القارورة. (كذا في المصباح). فلا يجوز أن يكون الصوت الطيب بالشعر الموزون والمعنى المفهوم حراماً. إذ الأصوات الطيبة غير منكرة ولا محدثة بدليل هذا. وقد ثبت ذلك بالنص والقياس.

٩٠- حسان بن ثابت الشاعر المشهور.

٩١- ورد في كتاب (الوفا بأحوال المصطفى) للإمام أبي الفرج عبد الرحمان الجوزي تحت عنوان : (ما سمع رسول الله من الشعر) : عن عمرو بن الشريد قال : أردفني رسول الله (ص) فقال هل معك من شعر أمية بن الصلت شيء ؟ قلت بلى يا رسول الله. قال : هيه. حتى أنشدته مئة بيت. وعن نابغة قال : أنشدت النبي (ص)

بلغنا السماء مجدُنا وجدودُنا وإنا لنرجو بعد ذلك مظهرا

فقال : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قلت : الجنة. قال : أجل إن شاء الله. ثم قلت :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوَهُ أن يكدَّرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبي : لا يفضض الله فاك " المجلد الثاني ص ٤٥٩ ".

٩٢- أنجشة من موالي الرسول (ص) وكان حسن الصوت والحداء.

١٧ - ضرب الدف والرقص

وأما الضربُ بالدف والرقصُ فقد جاءت الرُّخَصُ في إباحته للفرح والسرور في أيام الأعياد والعرس وقدوم الغائب والعقيقة. وقد ثبت جوازُ ذلك بالنص. فمن ذلك إنشادهم وضربُهم بالدف عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولُهم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فأباح صلى الله عليه وسلم لهم ذلك لإظهار السرور بقدومه.

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم رضي الله عنهما عن عروة عن عائشة رضي الله عنهما ؛ أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل عليها في أيام منىً وعندها جاريتان تدففان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغشٍّ بثوبه. فانتهرهما أبو بكر. فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه الكريم وقال دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد. وفي حديث آخر : قالت عائشة رضي الله عنها : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاث[٩٣]. فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه. ودخل أبو بكر فانتهرني وقال : مزمار الشيطان عند رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهما. فلما غفل غمزتهما فخرجتا.

وكان يومَ عيد[٩٤] يلعب فيه السودان بالحرب والدرق[٩٥]. فإما سألتْ - أي عائشة - رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وإما قال : تشتهين تنظرين ؟ فقلت نعم. فأقامني وراءه وخدي على خده ويقول : دونكم يا بني أرفده. حتى إذا مللت قال حسبك ؟ فقلت نعم. قال : فاذهبي.

فهذه الأحاديث نصٌّ صريح في الصحيح على أن الغناء واللعب ليس بحرام. ويدل على كثير من الرخص منها اللعب وإباحة ذلك في المسجد. ووقوفه مع عائشة رضي الله عنها حتى ملت مع صغر سنها. وإنكارهُ على أبي بكر رضي الله عنه ومنعهُ عن انتهار الجاريتين وكان يقرع سمعهَ صلى الله عليه وسلم صوتُ الدف وصوتُ الجاريتين.

٩٣- يوم بُعاث - بضم الباء - يوم معروف كان فيه حرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية. وفي حديث عائشة (ر) : (وعندها جاريتان تغنيان بما قيل يومَ بعاث) هو هذا اليوم.

٩٤- عاد الشيخ إلى حكاية عائشة (ر) عن رقص الحبشة في المسجد.

٩٥- الدرَق ضرب من الدروع. الواحدة درَقة. تتخذ من الجلود.

١٨ – صوت الشبابة

وأما صوت الشبابة فاحتجَّ أهلُ التحريم بحديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما حين وضع صلى الله عليه وسلم إصبعَه في أذنه وقد سمع زمارة راع وعدل عن الطريق؛ ولم يزل يقول يانافع أتسمع؟ حتى قلت لا. فأخرج إصبعه من أذنه. وقال – أي نافع – : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع. فهذا ليس فيه دلالة على التحريم. بل فيه دليل قوي على إباحة الشبابة. بدليل أنه لم يأمر نافعاً بسد أذنيه. ولم يُنكِر على الراعي فعلَه. وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يمر بمنكَر ولم يُنكره. أو بباطل ولم يُبطله. إذ لم يُعرَف الحلال والحرام إلا من جهته. ولو كان حراماً لأخبر أصحابه. وأما سدُّ أذنيه صلى الله عليه وسلم فيحتمل معنيين :

أحدهما أنه كان سالكاً أتم الأحوال وأفضلها. ونحن نقول إن الأَوْلى تركُه في أكثر الأحوال. بل أكثرُ مباحات الدنيا الأولى تركُها.

والثاني أنه صلى الله عليه وسلم لا يخلو قلبه من ذكر وفكر وحال مع الله تعالى واشتغالٍ به. فلعله كان في حالة تشغله زمارةُ الراعي عن تلك الحالة لتأثيرها في القلب كما أنه خلع ثوب أبي جهم بعد الفراغ من الصلاة لأنه كان عليه أعلام تشغله عن حالته ووقته. فلا نقول إن ذلك يدل على تحريم أعلام الثوب. بل إنه استشعر أنها شغلت قلبه فخلعها. وكذلك سدُّ أذنيه.

وأما احتجاجهم بقول ابن مسعود رضي الله عنه : (الغناء يُنبِت النفاق في القلب كما يُنبت الماءُ البقلة)، وبقول الفُضَيل رحمه الله تعالى : (الغناء رُقية الزنا) وقولِه صلى الله عليه وسلم : (ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله تعالى شيطانين على منكبيه يضربان أعقابهما على صدره حتى يُمسك). وقولِ عثمان رضي الله عنه : (منذ أسلمت ما تغنَّيت وما تمنيت ولا لمست ذَكَري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم). وبقوله صلى الله عليه وسلم : (أول من ناح وأول من تغنى إبليسُ لعنه الله). وقولِ عائشة رضي الله عنها : (إن الله حرَّم القينةَ وبيعَها وثمنها وتعليمها) : وبقولِه تعالى (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون)؛ قال ابن عباس هو الغناء بلغة حِمْيَر : فيلزم من هذا إذا قلنا بتحريمه أن يحرَّم الضحك أيضاً والبكاء قياساً. ويحرُم في حديث عثمان رضي الله عنه مسُّ الذكَر باليمين قياساً أيضاً. ويلزم من هذه الأحاديث كلها إذا قلنا بإطلاق التحريم فيها أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل حراماً وأمر بحرام ورضي بحرام. ومن ظن ذلك بنبيه فقد كفر. وقد ثبتت النصوص بالغناء في بيته

وضربِ الدف في حضرته ورقصِ الحبوش في مسجده وإنشادِ الشعر بالأصوات الطيبة بين يديه . فلا يجوز أن نقول بتحريم الغناء واستماعه على الإطلاق . بل يختلف ذلك باختلاف الأحوال والأشخاص وأرباب الرياء والإخلاص .

١٩- أقسام السماع : حرام ومباح ومندوب

ونقول إن السماع ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

منه ما هو حرام محض . وهو لأكثر الناس من الشباب ومَن غلبت عليهم لذاتهم وشهواتهم ، وملكهم حبُّ الدنيا ، وتكدَّرت بواطنهم ، وفسدت مقاصدهم ، ولا يحرك السماعُ منهم إلا ما هو الغالب عليهم وعلى قلوبهم من الصفات المذمومة ؛ لا سيما في زماننا هذا وتكدُّرِ أحوالنا وفساد أعمالنا .

والقسم الثاني مباح ، وهو لمن لا حظَّ له منه إلا التلذذُ بالصوت الحسن واستدعاءُ السرور والفرح . أو يذكر به غائباً أو ميتاً فيستثير به حزنه ويستريح بما يسمعه .

والقسم الثالث منه مندوب . وهو لمن غلب عليه حبُّ الله تعالى والشوقُ إليه . فلا يحرك السماعُ منه إلا الصفات المحمودة ، وتضاعفَ الشوق إلى الله تعالى واستدعاءَ الأحوال الشريفة والمقامات العلية والكرامات السنية والمواهب الإلهية . فمن ظهر له ذلك فهو مندوبٌ له مباح . اهـ

وهذا القسم الثالث هو سماع الصوفية أهل الصدق والإخلاص في كل زمان . وهم موجودون إلى يوم القيامة حفظهم الله تعالى في أعمالهم وأحوالهم . وإن تشبهَتْ بهم في الزي والهيئات أقوامٌ كاذبون خارجون من طريقهم ، فهم شَيْنٌ عليهم ، كما تشبهت بالفقهاء الكاملين العالمين العاملين أقوام قاصرون جاهلون في زيهم وكلامهم وهم عليهم شين . وكما أن ذلك لا يطعن في مقام الفقهاء حتى يوجب انتقاصَهم من بين العلماء ، لا يطعن أيضاً في مقام الصوفية فيوجب انتقاصهم من بين المؤمنين . ولم تزل كلُّ طائفة من طبقات الناس أربابِ المناصب الدينية والدنيوية كالأئمة والمأذونين والخطباء والقضاة والأمراء والسلاطين والوزراء ، فيهم الصالحون والفاسدون وأهل الكمال وأهل النقصان من أول الزمان إلى يوم القيامة . وإذا ذُمَّ نوع من ذلك فإنما المراد ذمُّ الفاسدين من ذلك النوع وأهلِ النقصان منه فقط . كما أنه إذا مُدِحَ نوع فالمراد منهم الصالحون فقط . إذا علمت هذا ظهر لك أن ما ذكره الفقهاء من الكلام في المتصوفة ، وتقبيح أعمالهم فمرادُهم

أهلُ الفساد منهم لا مطلقاً بدليل القرائن الواقفة في عباراتهم عند الرد عليهم . اهـ (إيضاح الدلالات في سماع اللآلات لسيدي عبد الغني النابلسي) .

وللقوم تفاصيل حررها بعض الأفاضل وهي :

اضرب الدف وجانب جاهلا   حكمةَ الشرع وألفى ما درى
قد أباح الدفّ قدماً مالكٌ   وعن الأصحاب يروي الخبرا
والإمام الشافعي المنتقى   تبع القول وقوّى الأثرا
وكذا النعمان قد قيَّده   لنكاح أو لعيد وجرى
وأتى عن أحمد بينهما   خبرٌ خُذْ نصَّه مُعتبِرا
إن يكن في العيد أو في مثله   من دواعي الخير زَيْنٌ لا مِرا
نكتةُ الإجماع إن جاءت على   حكمِ نص أبداً لن تُنكِرا
هذه الأخبار عن أربعة   لبقاء الدين أفنوا العمرا

٢٠ - حمل تصاريف المشايخ العارفين على الصواب والسداد

واعلم أن كل تصاريف المشايخ العارفين محمولة على السداد والصواب . ولا تخلو عن نية صالحة فيها . والله ينفع بهم وبآثارهم إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك أبناء الطريق الكاملون . جعلوا العادات المباحات سلماً للعبادات . كما أنهم قبل شروعهم بالذكر يضربون بالدف لأجل التنبيه ثلاث مرات متواليات إشارة إلى نفخات الصور الثلاث . وهي نفخة الفزع ونفخة الموت ونفخة البعث . ولكنهم يلاحظونها في آن واحد . ويصلح دليلاً لهم ما ذكره العلامة العلائي [٩٦] في شرحه " در المختار على تنوير الأبصار " في كتاب [٩٧] الحظر والإباحة حيث قال : (فائدة : ومن ذلك - أي الملاهي - ضربة النوبة للتفاخر . ولو للتنبيه فلا بأس به ، كما إذا ضرب في ثلاث أوقات لتذكير ثلاث نفخات الصور لمناسبةٍ بينهما . فبعد العصر للإشارة

٩٦- هو محمد أمين عابدين الذي سبقت الإشارة إليه وإلى كتابه الدر المختار . وهذ النص منقول منه .

٩٧- الكتاب هنا يعني (فصلاً) من كتاب .

إلى نفخة الفزع، وبعد العشاء إلى نفخة الموت، وبعد نصف الليل إلى نفخة البعث والله أعلم). قال محشّيه[٩٨] في "رد المحتار" (أقول إن هذا يفيد أن آلة اللهو ليست محرَّمة لعينها بل لقصد اللهو منها إما من سامعها أو من المشتغل بها ألا ترى أن ضرب تلك الآلة بعينها حَلَّ تارة وحَرُم أخرى باختلاف النية؟ والأمور بمقاصدها. وفيه دليل لساداتنا الصوفية الذين يقصدون بسماعها أموراً هم أعلم بها. فلا يبادر المعترض بالإنكار كي لا يُحرَمَ بركتهم فإنهم السادة الأخيار أمدنا الله بإمداداتهم وأعاد علينا من صالح دعواتهم وبركاتهم).

ومن عاداتهم أيضاً أنهم يقرؤون الفاتحة قبل ضربهم الدف وبعدختمه. ومستندهم على ذلك ما ذكره حجة الإسلام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين". وذكر أبو النجيب السهروردي في "عوارف المعارف" أن حمشاد الدينوري قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام. فقلت يا رسول الله. هل تنكر من هذا السماع شيئاً؟ فقال: ما أُنكره. ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القرآن ويختمون بعده بالقرآن. فقلت: يارسول الله إنهم يؤذونني وينبسطون. فقال: احتملهم يا أبا علي. هم أصحابك. فكان حمشاد يفتخر ويقول: كنّاني رسول الله صلى الله عيه وسلم.

٢١ - حكم إنشاد الأمرد

وكل هذا إذا لم يكن المنشد أمرد تنجذب النفوس إلى النظر إليه وتستلذ ذلك وتضمر خواطر السوء. أو يكون للنساء إشراف على الجمع وتتراسل البواطن المملوءة من الهوى بسفارة الحركات والرقص وإظهار التواجد. فيكون ذلك عين الفسق المجمع على تحريمه. فأهل المواخير حينئذ أرجى رجاء ممن يكون هذا ضميره وحركاته، لأنهم يرون فسقهم وهذا لا يرى ويُريه عبادة لمن لا يعلم ذلك. أفترى أحداً من أهل الديانات يرضى بهذا ولا ينكره؟ فمن هذا الوجه للمنكرِ الإنكارُ.

٢٢ - صفات المُنشِد

وإنما يكون منشد القوم رجلاً موصوفاً بالتقوى سالماً من الدعوى متخلّقاً بما يقول، ليسريَ كلامُه إلى الألباب والعقول، له معرفةٌ بما يناسب أحوالَ الذاكرين.

٩٨- المقصود ابن عابدين الابن على كتاب أبيه المعروف بحاشية ابن عابدين ٦/ ٣٥٠.

فينشد للمبتدئ كلاماً لا تعقيد في مبناه، ولا صعوبة في إدراك معناه، مشتملاً على ذكر صفات الألوهية والشمائل النبوية. ولا ينشد له الغزلَ المشتمل على ذكر الربوع والأطلال مثلاً، فإنها مما يشتت قلبه ويُغرق لُبَّه والمقصودُ حضورُه مع الحق تبارك وتعالى.

وأما العارفون فلا بأس بإنشاده مثلَ ذلك لهم، فإنهم، لرقة حجابهم وشدة اقترابهم، يأخذون المعانيَ الربانية من المباني الكونية. ففي "مفاتيح الكنوز" ما نصه (قال أبو القاسم الجُنَيْد[٩٩] رضي الله عنه: السماع لا يُحدِث في القلب شيئاً، وإنما هو يهيج ما فيه، فتراهم يَهيجون من حيث وجودهم، وينطقون من حيث قصدهُم، ويتواجدون من حيث كامناتُ سرائرهم لا من حيث قولُ الشاعر ومرادُ القائل. ولا يلتفتون إلى الألفاظ لأن الفهم يسبق إلى ما يتخيله الذهن. وشاهدُ ذلك ما حُكِي أن أبا سليمان الصوفي سمع رجلاً يطوف وينادي "يا سعتر بري" فغُشِيَ عليه. فلما أفاق قيل له في ذلك، فقال: سمعته يقول اسْعَ تَرَ بِرّي. ألا ترى أن وجْده وحركته من حيث ما هو فيه لا من حيث قولُ القائل وقصدُه؟ كما حُكي عن بعض الشيوخ أنه سمع قائلاً يقول: "الخيار عشرة بحبة". فغلبه الوجد. فسئل عن ذلك فقال: "إذا كان الخيار عشرةٌ بحبة فما قيمة الأشرار؟ فالمحترق بحب الله لا تمنعه الألفاظ الكثيفة عن فهم المعاني اللطيفة، إذ لم يكن واقفاً عند صوت نغمة ولا مشاهدة صورة). اهـ

وقال الأستاذ البكري في ألفية التصوف:

ثم يكون المنشد الإمام	رئيسهم ومن هو المقدام
لأنه أدرى بما يحرك	قلب المريد وعليه الدرك
أو واحد يوصف بالصلاح	لأن ذا أقرب للنجاح
وينشدون من كلام القوم	بما لهم يوقظ من في النوم
مجتنباً كلام أهل الأهوا	فإن من يهوى الهوى لا يهوى

٩٩- الجنيد بن محمد بن الجنيد ٠٠٠ - ٢٩٧ هـ ٠٠٠ - ٩١٠ م. مولده ووفاته في بغداد. عده العلماء شيخ التصوف. له رسائل في التوحيد والألوهية والغناء وغير ذلك.

٢٣ - يجوز التصفيق لتهييج الذكر

يجوز التصفيق لأجل تهييج الذكر أو لضبط النغم من المنشد. لكن لا يضرب بطنَ الكف على بطن الكف ولا بطنَ الأصابع على بطن الكف لأنه يشبه أهل اللهو. إنما يضرب ببطن الكف على الظهر أو بالعكس. فقد ذكر الإمام الباجوري[١٠٠] في حاشيته على ابن قاسم[١٠١] عند قوله : المرأة تخالف الرجل في خمسة أمور فقط (واختُلِف في التصفيق خارج الصلاة. فقيل يحرم بقصد اللعب. ويُكره بلا قصد اللعب. وهذا هو المعمتمد عند الرملي[١٠٢]. وقيل يُكره ولو بقصد اللعب وإن كان فيه نوعُ طرب. وهذا هو المعتمد عند ابن حجر في شرح الإرشاد. وقيل يحرم إن قُصد به التشبهُ بالنساء لأنه من وظيفتهن. وهذا كله إذا لم يُحْتَجْ إليه. فإن احتيج إليه لتهييج الذكر كما يفعله الفقراء، أو لضبط الأنغام كما يفعله الفقهاء في الليالي، أو لتدريسٍ كما يفعله المدرسون في الدرس، لم يَحْرُم. بل كان مطلوباً). اهـ

٢٤ - استعمال الخرقة والحزام وعلم الراية

(تنبيه) اعلم أن القوم قد استعملوا الخرقة والحزام وعلَم الراية. ولهم في ذلك ملحظٌ يخصهم ومشربٌ يخصصهم. قال المحقق الأمير في ثبته الشهير : (واعلم أن الخرقة وعلم الراية والحزام ليست هي المقصود الأصلي من الطريق، بل مدارُ أهل الطريق مجاهدةُ النفس، وإلزامُها بالشريعة والسنة المحمدية في الباطن والظاهر كما قدمنا أولاً). ولذلك لما سئل الإمام مالك رضي الله عنه عن علم الباطن قال للسائل : "اعمل بعمل الظاهر يورثْك الله علمَ الباطن". لكن مستند القوم أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر. وقد ورد تعميمُ النبي صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه في

١٠٠- إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري ١١٩٨ - ١٢٧٧ هـ ١٧٨٤ - ١٨٦٠ م. شافعي كان شيخ الجامع الأزهر. من كتبه (حاشية الباجوري على ابن قاسم الغزي).

١٠١- محمد بن قاسم بن محمد ٨٥٩ - ٩١٨ هـ ١٤٥٥ - ١٥١٢ م. شافعي. ولد في غزة وتعلم في القاهرة. من كتبه (فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب) يعرف بشرح ابن قاسم.

١٠٢- خير الدين بن أحمد ٩٩٣ - ١٠٨١ هـ ١٥٨٥ - ١٦٧١ م من الرملة في فلسطين. رحل إلى مصر ومات فيها. أشهر كتبه (الفتاوى الخيرية).

الجهاد وعقدُ اللواء له واغتفارُه إنشادَ الشعر والتبختر بين الصفين. كما قال: إنها لمشية يبغضها الله تعالى إلا في مثل هذا الموضع. وجعل الشعار[١٠٣] في القوم ليجتمع بعضهم إلى بعض. فكذلك القوم - أي المتصوفة - تبركوا بلباس الخرقة وإنما الأعمال بالنيات، ونشروا الأعلام، واغتفروا هزَّ الجسم في الذكر والإنشادَ إعانةً على المجاهدة، ليجتمع بخرقتهم أصحابُ طريقتهم الذين هم يتعاونون بحال واحد من غير معصية ولا بغضٍ لغير خرقتهم.

٢٥ - في المتصوِّف والمتشبِّه

وربما يقال: إن ماذكرته من الخرقة والحزام وعلم الراية هو للصوفية أهل الحقائق والمعارف كما قدمت. وهيهات هيهات أن يوجد في هذا الزمان من هو متخلق بأخلاقهم وعاملٌ بأعمالهم. (قلت): لابأس بالتشبه بهم وزيهم بنية صالحة. ولعل الله ينقله من حالة التشبه إلى حالة الحقيقة. وليس ذلك بعزيز على الله. فإن التشبه بالقوم جائز وليس ممنوعاً. فإن الفاضل المحقق أبا النجيب السهروردي عقد باباً في المتصوف والمتشبه في كتابه "عوارف المعارف" فقال: (عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، متى قيام الساعة؟ فقام رسول الله إلى الصلاة، فلما قضى الصلاة قال: أين السائل عن الساعة؟ فقال الرجل: أنا يا رسول الله. قال: ما أعددت لها؟ قال: أعددت لها كثيرَ صلاة وصيام. أو قال: ما أعددتُ لها كبيرَ عمل إلاأني أحب الله ورسوله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب. أو: أنت مع من أحببت. قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحَهم بهذا). فالمتشبه بالصوفية ما اختار التشبه بهم دون غيرهم من الطوائف إلا لمحبته إياهم. وهو - مع تقصيره عن القيام بما هم فيه - يكون معهم لموضع إرادته ومحبته. وقد ورد بلفظ آخر أوضحَ من الخبر الذي رويناه في المعنى. روى عبادة بن الصامت عن أبي ذر قال قلت: يا رسول الله، الرجل يحب القومَ ولا يستطيع أن يعمل كعملهم. قال: أنت يا أبا ذر مع من أحببت. قال قلت: فإني أحب الله ورسوله. قال فإنك مع من أحببت. قال: فأعادها أبو ذر فأعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٠٣- الشعار نداء يُعرف به أهل الجمع في الحرب. أو هو راية يلتفون حولها.

فمحبة المتشبه إياهم لا تكون إلا لتنبه روحه لما تنبهت له أرواحُ الصوفية. لأن محبة أمرِ الله وما يقرِّبُ إليه وما يقترب منه، تكون بجاذب الروح. غير أن المتشبه مُتَعَوِّقٌ بظلمة النفس. والصوفي تخلَّص من ذلك. والمتصوف متطلع إلى حال الصوفي. وهو مشارك ببقاء شيء من صفات نفسه عليه للمتشبه. وطريقُ الصوفية أولُه إيمان ثم علم ثم ذوق. فالمتشبهُ صاحبُ إيمان. والإيمانُ بطريق الصوفية أصلٌ كبير. اهـ

٢٦ – سند القوم في التلقين جماعةً

ومما يزيد الذكرَ نفعاً وإفادةً أن يأخذه المريد بالتلقين عن أهل الذكر كما أخذته الصحابة رضي الله عنهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال العارف الشعراني في "مدارج السالكين" : (وأقل ما يحصل للمريد إذا دخل في سلسلة القوم بالتلقين؛ أن يكون إذا حرك حلقةَ نفسِه، أن تجاوبه أرواحُ الأولياء من شيخه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حضرة الله عز وجل. فمن لم يدخل في طريقهم بذلك فهو غير معدود منهم، ولا يجيبه أحد إذا حرك حلقة نفسه المنفصلة فافهم).

واعلم أن سند القوم في التلقين ما رواه الطبراني[١٠٤] والبزّار[١٠٥] وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقَّن أصحابه كلمة التوحيد جماعةً وفرادى.

فأما تلقينهم جماعة فقال شداد بن أوس رضي الله عنه : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم. فقال : هل فيكم غريب؟ يعني من أهل الكتاب. قلنا : لا يا رسول الله. فأمر بغلق الباب وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله. فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا لا إله إلا الله. ثم قال صلى الله عليه وسلم : اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد. ثم قال صلى الله عليه وسلم : ألا أبشروا. فإن الله قد غفر لكم. اهـ

١٠٤- سليمان بن أحمد بن أيوب ٢٦٠ - ٣٦٠ هـ ٨٧٣ - ٩٧١ م أصله من طبريَّة الشام. له ثلاثة معاجم في الحديث. منها (المعجم الصغير). وله كتب في التفسير. توفي في أصبهان.

١٠٥- أحمد بن عمرو البزار ٠٠٠ - ٢٩٢ هـ ٠٠٠ - ٩٠٥ م بصري. من العلماء بالحديث. له مسندان في الحديث. أحدهما كبير سماه (البحر الزاخر) ويقال له (مسند البزار.)

وفي غلقه صلى الله عليه وسلم البابَ إشارةٌ وبِشارة. أما الأولى فهي أن الطريقة مبنية على ستر الأحوال، وأنه لا ينبغي أن يُذكَرَ كلامُهم في حضرة من لا يعتقد فيهم. وأما الثانية فهي أن أهل الطريق من أخص خواصه ومن أهل رعايته واختصاصه.

٢٧ - سند القوم في التلقين فرادى

وأما تلقينه صلى الله عليه وسلم فرادى، فقد قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: سألت رسول الله فقلت: يا رسول الله. دلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى، وأسهلِها على عباده، وأفضلِها عند الله تعالى. فقال: يا علي. عليك بمداومة ذكر الله عز وجل سراً وجهراً. فقال علي رضي الله عنه: كل الناس ذاكرون. وإنما أراد أن يخصني بشيء. فقال صلى الله عليه وسلم: مه يا علي، أفضلُ ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله. ولو أن السماوات والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، لرجحت لا إله إلا الله. ثم قال: يا علي. لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول ألله ألله. ثم قال علي: كيف أذكر يا رسول الله؟ فقال رسول الله: غمِّض عينيك، واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات. ثم قل أنت: لا إله إلا الله ثلاث مرات وأنا أسمع. ثم رفع رسول الله رأسه ومدَّ صوته وهو مغمضٌ عينيه وقال: لا إله إلا الله ثلاث مرات وعليٌّ يسمع، ثم إن علياً رفع رأسه ومد صوته وهو مغمض عينيه وقال: لا إله إلا الله ثلاث مرات والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع.

هذا أصل سند القوم في التلقين.

٢٨ - دليل العهد

وأما العهد فالأصل فيه قوله تعالى: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم. فمن نكث فإنما ينكث على نفسه. ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما). وقد ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم وشرطه كمالُ الشيخ وانقيادُ المريد ووجودُ التسليك.

واعلم أن للعهد معنيين: معنوي وشرعي.

فمعناه لغةً "التزام شيء ليوفيَ به في المستقبل حقاً كان أم باطلاً". ومنه: تعاهد بنو فلان على كذا.

وشرعاً "التزام قربة دينية" . كالتزام الأنصار أنهم يحمون النبي صلى الله عليه وسلم مما يحمون نساءهم وأولادهم .

إذا عرفت ما تقدم من معنييه عرفت أنه لا بد من الإتيان بلفظ دالٍّ عليه من عاهدت وما أشبهه . قال القرطبي[١٠٦] في تفسير قوله تعالى : (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) : لفظ عام لجميع ما يُعقد باللسان ويلتزمه الإنسان . اهـ

ثم اعلم أن العهد لا يؤخذ إلا على أهل الصدق والرغبة التامة في طريق القوم . وأما غيرهم فلهم التلقين المجرد عن العهد . فإن العهد ميثاق وإلزام . ولا يكون إلا لأهل الصدق التام .

وصاحب الأول - أي التلقين المجرد عن العهد - هو المأمور بأن يقتصر على شيخ مادام في مقام التربية . وعليه نحمل قولَهم : إلزم باباً واحداً يفتحْ لك الأبواب . واخضع لسيد واحد تخضعْ لك الرقاب . وقولَهم : لا يُفلح مريد قط بين شيخين ، قياساً على عدم وجود العالِم بين إلهَين ، وعدم وجود المرأة بين رجلين ، وعدم المكلف بين رسولين .

٢٩ - جواز الانتقال إلى شيخ آخر

فإذا كمُل حاله ولاح له المرام ، فلا حرج إن ثبت عليه واستدام . فإذا لم يفتح على يديه فله الأخذُ عن غيره حتماً . فإن القصدَ السيرُ إلى الله والوصولُ إليه بأية طريقة كانت . فلا تجبر خاطر غيرك بقطيعة نفسك . على أن التحجير كان على مريد الأشياخ السابقين الذين كان الواحد منهم يعرف تلامذته من يوم "ألست بربكم" . أما الآن فقد نفى المحققون هذا الحرج ، وأباحوا للمريد أن يأخذ عن أشياخ شتى ، وأن لا يقف على النصوص الدالة على الاقتصار . ففي "موازين القاصرين" للعارف الشعراني ما نصه (احذر أن تقتصر على شيخ واحد في هذا الزمان ، فإنه تحجير عليك ، وقلةُ نفع لك . بل اعتقد في كل شيخ يحصلْ لك الخير) . وإنما كان أهل العصر الخالي يقيدون بذلك على تلامذتهم لأنهم كانوا أولياء عارفين بالله وبالأحكام . أما مشايخ هذا الزمان فليس لهم من العلم اللدنّي شيء . إنما هم يقلدون لأضعف الفقهاء . ولو بحث معهم فقيه لا

١٠٦- محمد بن أحمد القرطبي ٠٠٠ - ٦٧١ هـ ٠٠٠ - ١٢٧٣ . أنصاري من الخزرج . أندلسي . سافر إلى مصر وتوفي فيها . من كتبه (الجامع لأحكام القرآن) المعروف بتفسير القرطبي .

يدرون له جواباً. فأين هم من الأولياء الذين كانوا إذا فقدوا الجواب من طريق النقل أجابوا من طريق الكشف ؟ كما وقع لسيدي أحمد البدوي[١٠٧] وسيدي عبد الرحيم البلتاجي[١٠٨] وأضرابهما فاعلم ذلك. ولا يغرنك تقييدُهم على تلامذتهم أن لا يجتمعوا بغيرهم. فإن ذلك خطأ منهم ومحبة لانفرادهم بالسمعة والصيت دون غيرهم والله يتولى هداك فإنه متولي الصواب والسلام.

وقال - أي العارف الشعراني - رضي الله عنه : (من علامات الداعي إلى الله تعالى بصدق أن لا يتغير على من انقلب من تلامذته إلى شيخ آخر من أقرانه؛ فمتى وجد في قلبه ضيقاً وعنتاً من ذلك فمشيختُه حظٌ نفسٍ لا يصلح معها أن يلقن أحداً فاعلم ذلك. واحذر إذا عملت شيخاً أن تتكدر ممن لا يتتلمذ لك، ولا يسمع لك كلاماً، ولا يؤهلك بالمشيخة. واحذر من هجر أحد من الخلق بسبب ذلك تشبيهاً بالأولياء الذين كانوا يهجرون التلميذ لمصلحة حالهم. فإن وبال ذلك يرجع عليك). اهـ كلام العارف رضي الله عنه. وقال أبو البركات ومهبط النفحات القطب الدردير : (ومن أراد من الأشياخ قصرَ كل من لقنه الذكر عليه، فهو مخطئ ويُعلَمُ من ذلك ليس شيخاً في طريق أهل الله). اهـ

فإن قلت : أليس نقضُ العهد مذموماً ؟ قلنا نعم. لكن طلب معرفة النفس أمر محتم معلوم، والرضى عنها بما هي فيه جهلٌ يُبقي صاحبه محروم[١٠٩]. وإذا شاهدت أن سائر الدعاة نوابُ السيد المعصوم[١١٠]، وأن مقصودكَ الجهادُ في نفسك لا الحظ النفساني المغموم، فقد وجب عليك التداوي من الملام، وبدون طبيب حاذق لا يبرأ المسموم. فلم يَعُدْ إذن أخذُك بهذا القصد المفهوم نقصاً ولا رفضاً، بل تتميم للأول عند الغواص في العلوم. سيما إذا كان بعد الاستخارة، وأذن في ذلك الحي القيوم. قال الشيخ أبو العباس زروق[١١١] رضي الله عنه : (كما أن من أرباب الأصلاب من

١٠٧- أحمد بن علي الحسيني أبو العباس البدوي ٥٩٦ - ٦٧٥ هـ ١٢٠٠ - ١٢٧٦ م. متصوف صاحب الشهرة في مصر. أصله من فاس في المغرب. انتسب إلى طريقته كثيرون. دفن في طنطا.

١٠٨- لم أقع له على ترجمة.

١٠٩- وردت (محروم) بميم ساكنة في كلام الشيخ طلباً للسجعة تأكيداً على موقف الزجر.

١١٠- المقصود بالمعصوم هو النبي (ص). فجميع الدعاة نواب له. ومايزال الشيخ يسجع زاجراً.

١١١- أحمد بن أحمد بن محمد ٨٤٦ - ٨٩٩ هـ ١٤٤٢ - ١٤٩٣ م. محدث فقيه مغربي. غلب عليه التصوف فتجرد وساح. توفي في طرابلس الغرب. له تصانيف كثيرة.

يكون عقيماً في الولادة مع توفر قواه، كذلك من أرباب الحقائق من يكون عقيماً مع علو مقامه. فتمسك بما تنتفع به ودع ما وراء ذلك) اهـ

إذا عرفت ما تقدم من نصوص أهل الطريقة ونُقول صدور أهل الحقيقة، عرفت أن المنتقل للأشياخ موافقٌ عينَ الصواب وسالكٌ طريقَ الأحباب.

النحل لما جنى من كل فاكهة حوى لنا جوهرين : الشمع والعسلا

ولو تتبعت نصوص الرجال في جواز الانتقال لاتَّسع المجال وطال المطال. لكن العاقل يقنع بالرمز القليل. والغبي يُحْوِجُ الضروريَّ إلى الدليل.

٣٠ - كيفية العهد والتلقين

واعلم أن لكل من العهد والتلقين كيفيةً معلومة.

فكيفية العهد على ما هو مقرر في كتب القوم هي أنها : إذا جاء مريد للشيخ يطلب العهد، يتطهر الشيخ من الحدث والخبث. ويأمر المريد بالتطهر كذلك ليتأهل لقبول ما يلقيه إليه من الشروط في الطريق، ويتوجه إلى الله تعالى ويتوسل إليه في ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأنه الواسطة بينه وبين خلقه. ويضع يده اليمنى على يد المريد اليمنى بأن يضع راحته على راحته. ويقبض إبهامه بأصابعه. ويقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ثلاثاً. ويقول المريد كما قال الشيخ.

ثم يقرأ الشيخ (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يُخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير). وقولَه تعالى : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً). وقولَه تعالى : (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً). ثم يقول له : قل : اللهم إني أُشهدك وأشهد ملائكتك ورسلك وأنبياءك وأولياءك أني قد قبلت هذا شيخاً بالله ومرشداً وداعياً إلى الله تعالى.

ثم يقول الشيخ : اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك ورسلك وأنبياءك وأولياءك أني قبلته ولداً في الله . فاقبله وأقبل عليه . وكن له ولا تكن عليه . وثبِّته وأيِّده) . ثم يقول له : أعاهدك يا ولدي على أن لا تباشر كبيرة ولا تصر على صغيرة ، وأن تعمل بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام حسب ما استطعت) . فيقول المريد : قبلت ذلك . ثم يدعو الشيخ للمريد وللمسلمين بأن يقول في دعائه : اللهم أصلحنا وأصلح بنا . واهدنا واهد بنا . وأرشدنا وأرشد بنا . اللهم أرنا الحق حقاً وألهمنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه . اللهم اقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك ، ولا تشغلنا بغيرك) . ثم يقول : الله على ما نقول وكيل . ثم يقرأ الفاتحة .

هذا إذا تفرد العهد . أما إذا اجتمع معه تلقين فيقول له الشيخ بعد ذلك :

اسمعْ مني الذكر ثلاثاً وقله بعدي كذلك . ثم يطرق برأسه مستأذنا النبي صلى الله عليه وسلم وأهلَ السلسلة وقطبَ الوقت بقوله : دستور يا قطب هذا الأوان . مستمداً ممن ذكر الفتحَ والقبول وفَتْقَ جيبِ الحقيقة لهذا المريد .

ثم يرفع رأسه قائلاً : لا إله إلا الله ثلاثاً بهمة مع المد المعلوم عند القوم . ويقولها المريد كذلك . ثم يوصيه بتقوى الله وما يناسب حالَه من الأحوال وما يقتضي رفعَ دخان الرياء من الأعمال .

٣١ - كيفية التلقين منفرداً

وكيفية التلقين منفرداً عن العهد أن يجلس الشيخ على ركبتيه مستقبلاً القبلة بعد الطهارة والاستغفار ثلاثاً ، وبعد صلاة ركعتين ينوي بهما سنة التوبة . ثم يطرق برأسه ويدعو له سراً بالفتح وهو واضع يديه على ركبتي نفسه ، وكذا المريد ، وكل منهما مغمض بصره . ويقول له : اسمع مني الذكر ثلاث مرات ، وأنت مغمض عينيك ، ثم قله بعدي ثلاثاً وأنا أسمع منك . ثم يستأذن شيخه ويطلب المدد من أهل السلسلة ويقول : دستور يا رسول الله . دستور يا أهل هذا الشأن . دستور يا أصحاب القدم . ويلقنه بقولي فيما تقدم .

٣٢ - الوصية بعد التلقين

ثم يوصيه بتقوى الله وما يناسب حاله ، هذا إذا كان له إشراف على الحقائق ، بحيث يعرف الداء وما يناسبه من الدواء بالبصيرة النافذة . وإلا فيتحفه بوصية من كلام العارفين . وأَحَبُّ إليَّ أن

تكون ما في " تحفة السالكين " فإنها جامعة . وأنوار القبول عليها ساطعة . وهي : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي أباح أهل الذكر فردوسَ الشهود ، وأطلع شموس أهل السر على صفحات الوجود . والصلاة والسلام على مالك أزمة أهل الحضرة الجبروتية ، وإمامِ كل مقتد به ممن اتصف بالقبْلية والبعدية ، وعلى آله وصحبه الذين شدوا مئزرهم على اتباعه في القول والفعل وعقدوا الطوية ، وعلى المشايخ العارفين الذين أوفَوا بعهد الله خصوصاً أهلَ طريقتنا السعدية .

أما بعد

فاسمع وصيتي إليك أيها المريد ، واعمل بها كما ألزمت نفسك عهدَ الله وميثاقه . وإني وإن كنت لستُ أهلاً لذلك ، لكن أردتَ التشبه بالسادة العارفين لعل الله تعالى أن يمدنا بمددهم ، وينفحنا من صالح دعواتهم وبركاتهم ، لأن التشبه بأهل الصلاح فلاح .

أوصيك أن تتقي الله في سائر أحوالك . وتُخلصَ في جميع أعمالك . ولا تلتفت لنظر الخلق إليك . بل غِبْ عنهم بنظر الله لك واطلاعِه على سرك وعلانيتك باتباع الكتاب والسنة . فإنهما الطريق الموصل إلى الله تعالى . واعمل متجرداً عن حظوظ نفسك في الدنيا والآخرة . ولا تعمل بملاحظة الكرامة ولا خوفاً من عقاب الله ولا طمعاً في ثوابه . بل القصدُ رضاءُ الله عنك ومحبتُه إليك والقيامُ بحق العبودية . والثوابُ لا شك حاصلٌ . وتحصيل الحاصل عبث . وعليك بالزهد في الدنيا والآخرة ، إلا ما ستر العورة وآوى الجثة وسد الجوع . فإن زدتَ على ذلك فإياك والغرور . وعليك بالورع عن كل ما فيه شُبهة . وعليك بكف الأذى وإن أوذيت . وعليك بالصبر فإنه رأس العبادة . وعليك بالرضا عن الله في كل شيء ورد عليك منه . وعليك بمجالسة من يدلك على الله بقوله وفعله . وعليك بالثقة بالله على كل حال وفي كل حال . والتوكلِ على الله والشكرِ له . وعليك بذكر الموت فإنه أساس الزهد . وإياك والمخاصمة والمجادلة والمماراة وإن كنت محقاً ، والبغيَ وحبَّ الشهرة بالخير والميلَ إلى المدح . والزم الأدبَ مع كل مخلوق . ولا تيأس من رحمة الله وكرمه وفرجه وإن ضاقت الأمور . فإن الله تعالى يقول (فإن مع العسر يسرا) ولن يغلب عسرٌ يُسرين . ولا تشكُ الله إلى أحد من خلقه . فإنه المعافي والمبتلي والقابض والباسط والضار والنافع . ومثِّلِ الجنة عن يمينك ، والنارَ عن يسارك ، والصراطَ تحت قدميك ، والميزانَ بين عينيك ؛ والربُّ مطلعٌ عليك يقول لك : اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً . واستعمل ما هو نافع لك

وهو الطاعة. ودع ما هو مضر لك وهي المعصية. واعلم أن الله سبحانه وتعالى يقول: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره).

ثم يدعو بهذا الدعاء: اللهم فُكَّ أقفالَ قلوبنا بمشيئتك. وأحسِنْ توفيقنا بدوام الصدق في إرادتك، وانشر علينا في هذه الساعة راية هدايتك، وقَلِّدنا بسيوف ولايتك. وتوِّجنا بتيجان معرفتك، وصَفِّ سرائرنا ونوِّر بصائرنا واجمع شملنا في حضائر قدسك. ولا تقطعنا بغيرك عن نفسك. اللهم ما كان منا من إقبال إلى غيرك، أو إعراض عنك تعمداً أو خطأ أو نسياناً فأزِلْه عنا بشهود إحاطتك، إنك على كل شيء قدير. إلهي نحن عبيدك المسيئون. ارتكبنا المعاصي ونحن مقرُّون بذلك. إلهنا إن عفوت عنا فلا ينقص في ملكك شيء. وإن تعذبنا فلا يزيد في سلطانك شيء، إنك تجد من تعذب غيرنا، ونحن لا نجد من يرحمنا غيرك. فارحمنا يا رحمن برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٣٣ - على المريد أن يتعلم علم التوحيد على عقيدة أهل السنة

يجب على المريد أن يحصل من علم التوحيد ما يصح به اعتقادُه على مذهب أهل السنة والجماعة؛ وما يحترز به عن شُبَه المبتدعة. فإن القلب مادام مكدراً بظلمة البدعة الاعتقادية لا يستنير بأنوار الطاعة. وذلك أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله تعالى إله واحد، منزه عن الشريك والمعين والصاحبة والولد. موجودٌ بذاته من غير افتتاح لوجوده. ولا نهاية لبقائه. مستغن عن كل ما سواه. ومفتقرٌ إليه كلُّ ما عداه. قائم بنفسه. ليس بجوهر فيحتاج إلى مكان. ولا بعَرَض فيستحيل عليه البقاء. ولا بجسم فيكون له الجهةُ والتلقاء. مقدس عن الجهات والأقطار. مرئي للمؤمنين بالقلوب في الدنيا، وفي الآخرة بالأبصار. استوى على العرش وما حواه. به استوى له الآخرة والأولى. لا يؤوده حفظ المخلوقات. وهو موجود بعلمه في جميع الجهات. مقدس عن القبل والبعد فإن ذلك من صفات الزمان. ولا يُقِلُّه مكان، بل كان ولا مكان ولا زمان. وهو الآن على ما عليه كان. السماوات والأرض ومن فيهن جميعاً منه. خلق اللوح والقلم وأجراه كاتباً بعلمه في خلقه. لا تتحرك ذرة إلا إليه وعنه. أوجد الكلَّ من غير حاجة إليه، ولا موجب أوجب ذلك عليه إلا أن علمه قد سبق. فلذلك خلق من خلق. لم تتعلق قدرته إلا بما أراد. كما أنه لم يُرِد إلا ما علم. أحاط بكل شيء علما. وأحصى كل شيء عدداً. يعلم السر وأخفى. يعلم من خلق وهو

اللطيف الخبير. علم الأشياء قبل وجودها، ثم أوجدها على حد ما علمها. مريد لجميع الكائنات في الأرضين والسماوات. فما في الوجود طاعة ولا عصيان، ولا ربح ولا خسران، ولا حياة ولا موت، ولا حصول ولا فوت، ولا متحرك ولا ساكن، ولا ظاهر ولا باطن إلا وهو مراد للحق جل وعلا. لا معقِّبَ لحكمه ولا رادَّ لأمره. يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء. أخرج العالم فريقين، وأوجد لهم منزلتين. فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي. لم يتصرف في ملك غيره فلا يُنسَب إليه الظلم والحَيْف. ولا يُتَوجَّه إليه من الغير سؤال بلم وكيف. فهو سبحانه كما قال في كتابه المكنون: (لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون).

فإذا رأيت من لم يخضع لهذا الاعتقاد من الضالين المضلين، فاصرف النظر عنه وقل فلله الحجةُ البالغة. فلو شاء لهداكم أجمعين. يسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء. ويبصر السوداء في الظلماء. متكلم لا عن صمت تقدم، ولا عن سكوت متوهَّم، بكلام قديم أزلي منزَّه عن الحروف والأصوات، وعن جميع آلات النطق واللهاة. كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان. وبصره من غير حدقة ولا أجفان. وعلمه من غير نظر ولا برهان. وحياته من غير بخار حدث عن امتزاج الأركان. وبالجملة فهو - سبحانه وتعالى - متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص. إذ هو الكبير المتعال، فلا يشبهه شيء من الحوادث. بل كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.

وكذلك يجب اعتقادُ أن لله تعالى أنبياء ورسلاً مبشرين ومنذرين، وأن سيدنا محمداً رسولَ الله خاتمُ الأنبياء والمرسلين. بعث إلى كافة الخلق أجمعين. وقد خاطبه الله بقوله: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا. وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً). فبلَّغَ جميعَ ما أنزله الله إليه. وأدى الأمانة ونصح الخليقة صلوات الله وسلامه عليه.

ويجب اعتقاد أن كل ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم حقٌّ. ومن جملة ما جاء به أن الموت حق، وأن سؤال القبر حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. وأن العرض على الله حق. وأن الميزان حق. وأن الحوض حق. وأن الصراط حق. وأن تطاير الصحف حق. وأن الجنة والنار حق. وأن فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير. وأن شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء وصالحي المؤمنين حق. وأن كل ما جاءت به الأنبياء عن الله حق.

وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة. وهي بحمد الله عقيدتنا إلى يوم الساعة. أسأل الله أن يُثبِّتنا بالقول الثابت في الدنيا والآخرة. وأن يُمتِّعنا بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الفاخرة آمين.

٣٤ - فتوى صاحب الفتاوى الخيرية على مذهب السادة الحنفية

يجب على المريد أن يحصل من علم الفقه ما تصح به أعمالُه على وفق الشريعة المطهرة؛ وإلا كانت جميع أعماله باطلة، فيصير تعبه هباء منثوراً. وهذا نص ما كتبه صاحب "الفتاوى الخيرية في مذهب السادة الحنفية" في كتاب الكراهة والإحسان[١١٢] (سئل في دمشق الشيخ إبراهيم الصمادي[١١٣] في ما اعتاده السادة الصوفية من حِلَق الذكر والجهر به في المساجد؛ من جماعة ورثوا ذلك عن آبائهم وأجدادهم، وينشدون القصائد الصوفية الصادرة عن ذوي المعارف الإلهية كالقادرية[١١٤] والسعدية والمطاوعية، وغيرهم ممن سلَّمَتْ لهم فقهاء الملَّة المحمدية. ويقولون: "يا شيخ عبد القادر، يا شيخ أحمد يا رفاعي، شي لله عبد القادر" ونحو ذلك. ويحصل لهم في أثناء الذكر وجدٌ عظيم وحالٌ يُقعِد ويُقيم، فيرفعون أصواتهم بالذكر، فيطويهم الحال وينشرهم المقال. ولا يخلو ذلك من حضور أناس عوام يحصل منهم اللحن عند الهيام، وقصدُهم ذكرُ الله المهيمن العلام، ويدخلون حِلَقَ الذكر بنية صالحة، ورغبة واضحة. وثَمَّ من يعترض على ذلك ويقول: "لفظ شي لله" كافرٌ قائلُه هالك. وكذلك الإنشادُ ورفعُ الصوت والرقصُ يعدُّه من غاية النقص قائلا: جميعُ ما يُفعل من ذلك لا يجوز في مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد ومالك. ويُنكر كرامات الأولياء بعد الممات. ويُشنِّع على فاعله غاية التشنيع بالكلمات المؤلمات. فهل اعتراضه موافق للحكم الشرعي ومطابق لما يقتضيه الشأن المرعيّ؟ "الجوابَ[١١٥]" بالنقل الصحيح عن العلماء ذوي الألباب ولكم الأجر والثواب من رب الأرباب ...

١١٢- ورد في الصفحة ٧٩ أن صاحب الفتاوى الخيرية هو خير الدين بن أحمد الرملي المتوفى عام ١٠٨٠ هـ ١٦٧١ م. ونذكر أن (الكتاب) هنا يعني فصلاً من كتاب.

١١٣- إبراهيم بن مسلم بن محمد ٩٩٨ - ١٠٧٣ هـ الحوراني الأصل. الدمشقي المجاهد. كان من أعيان الصوفية في دمشق.

١١٤- مؤسس الطريقة القادرية عبد القادر بن موسى الجيلاني المتوفى ٥٦١ هـ ١١٦٦ م. وتسمى أيضاً الطريقة الجيلانية.

١١٥- أي نريد الجواب. وحذف الفعل (نريد) لشدة لهفة الذي يسأل الشيخ الصمادي عن هذه الاعتراضات التي يقولها خصوم الصوفية عموماً. وقد أوردها الشيخ جملة لكي يرد عليها جملة.

أجاب[116] : الحمد لله وحده، اللهم يا من لا هاديَ لنا سواك. أنطِقْنا بما فيه رضاك.

اعلم أولاً أن من القواعد المشهورة التي هي في كتب الأئمة مقررة مذكورة، أن الأمور بمقاصدها. والشيء الواحد يتصف بالحِلِّ والحُرمة باعتبار ما قُصِد له. وهي مأخوذة من الحديث الذي رواه الشيخان : إنما الأعمال بالنيات. ومدار غالب الأحكام الإسلامية عليه، كما نص عليه العلماء رحمهم الله تعالى. فإذا تقرر ذلك وعلمت ما هنالك، فاعلم تِلْوَه أن ولي الله الشيخ الإمام العلامة البحر الفهامة جلال الدين المحلّي[117] ذكر في "شرح جمع الجوامع" قولَه. ويرى أن طريق الشيخ أبي القاسم الجُنيد سيدِ الصوفية علماً وعملاً وصحبةً، طريقٌ مقوَّم. فإنه خال عن البدع، دائرٌ على التسليم والتفويض والتبري من النفس. ومن كلامه (الطريق إلى الله تعالى مسدود على خلقه إلا على المقتفين آثارَ رسول الله صلى الله عليه وسلم). وقال : (رأيت في المنام أني أتكلم في الناس، فوقف عليَّ مَلَكٌ وقال : ما أقربُ ما تقرَّبَ به المقرَّبون إلى الله سبحانه وتعالى ؟ فقلت : عملٌ خفيٌّ بميزان وفيّ. فتولى وهو يقول : "كلام موفق والله".

ولا التفات إلى من رماهم من جَهَلِه الصوفيةَ بالزندقة عند الخليفة السلطان حتى أمر بضرب أعناقهم. فأمسكوا إلا الجنيد فإنه تستر بالفقه - وكان يُفتي على مذهب أبي ثور[118] شيخه - وبُسط لهم النطع. فتقدم من آخرهم الشيخ أبو الحسن الثوري للسياف. فقال له : لم تقدمتَ؟ فقال : أوثر أصحابي بحياة ساعة. فبُهِتَ وأنهى الخبر إلى الخليفة، فردهم إلى القاضي. فسئل الثوري عن مسائل فقهية فأجابه عنها ثم قال : وبعد، فإن لله تعالى عباداً إذا قاموا قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله ... إلى آخر كلامه. فبكى القاضي وأرسل إلى الخليفة : إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم. فخلّى سبيلهم. رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم.

١١٦- (أجاب) أي الشيخ إبراهيم الصمادي.

١١٧- محمد بن أحمد بن محمد ٧٩١ - ٨٦٤ هـ ١٣٨٩ - ١٤٥٩ م. شافعي أصولي مفسر. له البدر الطالع في شرح جمع الجوامع). مولده ووفاته في القاهرة.

١١٨- إبراهيم بن خالد الكلبي ٠٠٠ - ٢٤٠ هـ ٠٠٠ - ٨٥٤ م صاحب الإمام الشافعي. صنف كثيراً من الكتب. توفي في بغداد.

ثم قُتِل من الصوفية الحسين الحلاج[١١٩] في سنة تسع وثلاثمئة في سنيِّ الخليفة المذكور وهو أبو الفضل جعفر المقتدر) . اهـ

وفي شرح الجامع الصغير للمناوي في قوله صلى الله عليه وسلم من أحب قوماً حشره الله تعالى في زمرتهم . قال : (من أحب أولياء الرحمن فهو معهم في الجنان، ومن أحب حزب الشيطان فهو معهم في النيران . وفيه إشارة عظيمة لمن أحب الصوفية أو تشبه بهم، وأنه يكون - مع تفريطه بالقيام بما هم عليه - في الجنة . ومن تشبه بهم إنما فعل ذلك لمحبته إياهم . ومحبته لهم لا تكون إلا لتنبه روحه لما تنبهت له أرواحهم . لأن محبة الله تعالى محبةُ أمرِه وما يقرِّبُ إليه . ومن تقرب منهم يكون بجاذب الروح . لكن المتشبه تعوَّق بظلمة النفس . والصوفي خلص من ذلك) اهـ

وحقيقة ما عليه الصوفية، لا يُنكرها إلا كل ذي نفس جاهلة غبية . ونرجع لما هو المسؤولُ عنه .[١٢٠]

فأما حِلَقُ الذكر والجهرُ به وإنشادُ القصائد، فقد جاء في الحديث ما اقتضى طلبَ الجهر نحو (وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأ خير منه) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة . ورواه أحمد بنحوه بإسناد صحيح وزاد في آخره : قال قتادة (والله أسرع) .

والذكر في الملأ لا يكون إلا عن جهر . وكذا حلق الذكر وطواف الملائكة بها . وما ورد فيها من أحاديث فإن ذلك إنما يكون في الجهر بالذكر . وهناك أحاديث اقتضت طلبَ الإسرارِ والجمعَ

١١٩- الحسين بن منصور أبو مغيث ٠٠٠ - ٣٠٩ هـ ٠٠٠ - ٩٢٢ م . أصله من بيضاء فارس . نشأ في العراق . واختلف الناس في أمره . فقتله المقتدر . له تصانيف كثيرة .

١٢٠- أي أن الشيخ سيعود إلى التساؤلات حول الصوفية استكمالاً لكلام الصمادي . وسوف نرى أن الشيخ يعيد بعض ما تحدث عنه أو ساقه من أخبار . وليس هذا تكراراً بل هو وضع أفكاره وآرائه ونقولاته في سياق جديد . وهو هنا الرد على المعترضين . بينما سبق إيرادها في معرض شرح أحوال الصوفية . وسوف نراه في الإعادة أشد ضراوة وأكثر تأكيداً على تدقيق أخباره ونقولاته . لأنه يعيد إما في معرض الرد على المنكرين للصوفية أو في معرض جلاء أفكاره . ومنذ هذا القسم حتى نهاية الكتاب يبدو الشيخ كالطود الراسخ موقفاً، ومثل النار المتقدة اندفاعاً . ولعل مما يؤكد ذلك أن أسلوبه في الكتابة يتغير تغيراً طفيفاً لكنه تغير حاسم . فلغته - رغم تقليديتها - تصبح أسهل . ويزداد فيها استعمال المؤكدات وإشارات الاستفهام . وترتفع فيها النبرة الحادة خاصة في نقله لآراء المعارضين والردود عليها . فكأنه - والكتاب يوشك أن ينتهي - يريد تثبيت دفاعه عن الصوفية في ذهن قارئه .

بينهما. فإن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال كما جمع - أي الرسول - بين الأحاديث الطالبة للجهر بالقراءة والطالبة للإسرار بها. ولا يعارض ذلك خبرُ الذكر الخفي لأنه حيث خيف الرياء أو تأذي المصلين أو النيام. والجهرُ ذكرَ بعضُ أهل العلم أنه أفضل حيث خلا مماذُكِر. لأنه أكثر عملاً ولتعدّي فائدته إلى السامعين. ويوقظ قلب الذاكرين. فيجمع - أي الذاكر - همتَه إلى الفكر، ويصرف سمعه إليه. ويطرد النوم ويزيد النشاط. وقولُه تعالى (واذكر ربك في نفسك) أُجيبَ عنه بأنها مكية كآية الإسراء (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) نزلت لئلا يسمعه المشركون فيسبون القرآن ومن أنزله. فأمر به سداً للذريعة كما نهى عن سب الأصنام لذلك وقد زال. وبعضُ شيوخ مالك وابنُ جرير وغيرهما حمَّلوا الآية حالَ الذكر حالَ قراءة القرآن تعظيماً له يدل عليه اتصالُها بقوله تعالى: (فإذا قرأت القرآن ... إلخ). وقال السادة الصوفية: الأمر في الآية خاص به صلى الله عليه وسلم. وأما غيره، فمن هو محل الوسواس والخواطر الرديّة فمأمورٌ به الجهر لأنه أشد في دفعها. يؤيده حديث البزار (من صلى منكم بالليل فليجهر بقراءته فإن الملائكة تصلي بصلاته وتسمع لقراءته. فإن مؤمني الجن الذين يكونون في الهواء وجيرانه معه في مسكنه، يصلون بصلاته ويسمعون. ويطرد بجهره عن داره والدور التي حوله فُسّاقَ الجن ومردةَ الشياطين. وتفسير "الاعتداء" في قوله تعالى: (لا يحب المعتدين) بالجهر بالدعاء مردودٌ لأن الراجح في تفسيره التجاوزُ عن المأمورية أو الاختراعُ فيما لا أصل له في الشرع.

والتوفيق بين ما ورد في الجهر والإسرار، بنحو ما قُرِّر وأُجيب.

فإن قلتَ: صرح في الخانية[١٢١] بأن رفع الصوت بالذكر حرام لقوله صلى الله عليه وسلم لمن رفع صوته بالذكر: إنك لا تدعو أصمَّ ولا غائباً، وقولِه صلى الله عليه وسلم: (خير الذكر الخفي لأنه أبعد من الرياء، وأقرب إلى الخضوع) قلتُ: هو محمول على الجهر الفاحش المضر. وفي البزازية ناقلاً عن الفتاوى أن الذكر بالجهر في المسجد لا يمنع احترازاً عن الدخول تحت قوله تعالى: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه). ومنعُ ابن مسعود يعني إخراجَه جماعةً من المسجد سمعهم يهللون ويصلون عليه عليه الصلاة والسلام جهراً، يخالف قولَكم قال - أي صاحب البزازية: (قلتُ: الإخراج من المسجد لو نُسبَ إليه بطريق الحقيقة، يجوز أن يكون لاعتقادهم

١٢١- فتاوى القاضي خان التي ورد ذكرها من قبل.

العبادة فيه ولتعليم الناس بأنه بدعة . والفعل الجائز يجوز أن يكون غير جائز لغرض يلحقه . فكذا غير الجائز يجوز أن يجوز لغرضٍ كما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الأفضلَ تعليماً للجواز) . ثم قال : (ومما روي في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال للرافعي أصواتَهم بالتكبير : ارفقوا على أنفسكم على أنكم لا تدعون أصم ولا غائباً . . إلخ ، يُحتمل أنه لم يكن في الرفع مصلحة . فقد روي أنه كان في غزوة . ولعل رفع الصوت يجرُّ بلاءً والحرب خدعة . وأما رفع الصوت بالذكر فجائز) . اهـ ملخصاً .

وفي المسألة للعلماء كلامٌ يتحمل مجلداً . ومع النظر إلى ما تقدم لنا في صدر الجواب في هذا السؤال يتحقق ما فيه الصواب . فيُكْتَفَى به والله الموفق .

وأما إنشاد الأشعار في المسجد ففي "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر السني الأشعري ما فيه الكفاية ولو لم يكن إلا حديثُ كعب[١٢٢] وقصيدتُه المعروفة ، وإشارته صلى الله عليه وسلم إلى الخلق أن استمعوا . وكان عليه الصلاة والسلام يكون مع أصحابه مكان المائدة ، يتحلقون حلقة دون حلقة . فيلتفت إلى هؤلاء وإلى هؤلاء . والأخبار فيما يشهد لهذا كثيرة والأثر به مستفيض . ومنه قول العلماء : إنما الشعر كلام . فحسنه حسن وقبيحه قبيح . فما جاز على النثر جاز عليه .

وأما قولهم : "يا شيخ عبد القادر" فهو نداء . وإذا أضيف إليه بـ "شيء لله" فهو طلب شيء إكراماً لله . فما الموجب لحرمته ؟ ولا يجوز الاغترار بما في "قيد الشرائد ونظم الفوائد" (ومن قال شي لله يكفر ... إلخ) . إذ لا وجه لذلك . وكيف ذلك مع قولهم : (لا يُخرجُ المؤمنَ من الإيمان إلا جحودُ ما أدخله فيه) . وقولهم : (الكفر شيء عظيم فلا يُكَفَّرُ المسلمُ إذا اختُلِفَ فيه) . ومعاذ الله أن يوجد الكفر بذلك . وقد قال شارحه - أي شارح دلائل الإعجاز - : (وينبغي أن يرجح فيها عدم التكفير) . ووجه التكفير بأنه طلب شيئاً لله ، وهو جل وعلا غنيٌّ عن كل شيء ، والكلُّ محتاجٌ إليه ، وهذا لا يختلج في خاطر أحد . فإن ذكره تعالى للتعظيم كما في قوله تعالى : (فإن لله خمسَه) ومثله كثير .

وأما الرقص ففيه كلام . فمنهم من منعه ، ومنهم من لم يمنع ، حيث وجد لذةَ الشهود وغلب عليه الوجدُ . واستدلوا بما وقع لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما قال له عليه الصلاة والسلام :

١٢٢- هي قصيدة كعب ابن زهير التي أنشدها للرسول (ص) في المسجد .

أشبهتَ خلقي وخلقي. وفي لفظ جعفر : أنت أشبهُ الناس بي خلقاً وخلقاً. فحجل، أي مشى على رِجل واحدة. وفي روايةٍ رقص من لذة هذا الخطاب. ولم ينكر عليه الصلاة والسلام رقصَه. وجُعِل ذلك أصلاً لجواز رقص الصوفية عند ما يجدونه من لذة المواجد في مجالس الذكر والسماع. وفي التاترخانية[١٢٣] ما يدل على جوازه للمغلوب الذي حركاته كحركات المرتعش. وبهذا أفتى البلقيني[١٢٤] وبرهان الدين الأَبْنَاسي[١٢٥]. وبمثله أجاب بعض أئمة الحنفية والمالكية. وكل ذلك إذا خلصت النية وكانوا صادقين في الوجد مغلوبين في القيام والحركة عند شدة الهيام. والشيء قد يتصف تارة بالحلال وتارة بالحرام باختلاف القصد والمرام. وبتقرير جميع ما قالوه يطول الكلام.

وأما إنكار كرامات الأنبياء والأولياء على الإطلاق، فالجواب ما قاله اللقاني في "هداية المريد" (من كان يكَذِّب بكرامات الأولياء فلا بحث معه لأنه مكذِّبٌ بما أثبتته السنة) اهـ. ومسألة كرامات الأولياء في الكتب مشهورة مسطورة مقررة مذكورة. وفي هذا القدر كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

٣٥ - فتوى ابن عبد السلام شيخ الإسلام

(نص أسئلة وردت على صاحب الفتاوى الخليلية[١٢٦] في مذهب السادة الشافعية)

ثم رأيت بعد مدة من إفتائي هذا سؤالاً رُفِعَ للشيخ أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد السلام المالكي الدمشقي الدار شيخ الإسلام. وفيه من الكلام ما هو غاية القصد والمرام، فأحببت ذكره هنا. وصورته : ما قول ساداتنا العلماء أئمة الهدى ومصابيح الدجى أيد الله تعالى بهم الدين، وقمع بهم الجهلة والمفسدين، ونفع بعلومهم المسلمين، في رجل يزعم أنه حنفي حضر مجلس حاكم شرعي، وادَّعى على جماعة من الصوفية أنهم يذكرون الله تعالى قياماً ويرقصون ويغنون.

١٢٣- التاترخانية في الفتاوى للإمام الفقيه عالم بن علاء الحنفي.

١٢٤- صالح بن عمر بن رسلان ٧٩١ - ٨٦٨ هـ ١٣٨٩ - ١٤٦٤ / مصري. شافعي قاض.

١٢٥- إبراهيم بن موسى ٧٢٥ - ٨٠٢ هـ ١٣٢٥ - ١٣٩٩ م مصري شافعي تصدى للإفتاء.

١٢٦- صاحب (الفتاوى الخليلية) هو عبد المعطي بن محيي الدين ٠٠٠ - ١١٥٤ هـ ٠٠٠ - ١٧٤١ م. شافعي من الخليل في فلسطين. سكن القدس وتولى الإفتاء فيها حتى وفاته.

وقال : هذا محرم أفتيت بتحريمه . وطلب من الحاكم المشار إليه منعهم من ذلك . فأجاب : الجماعة المذكور بيانهم جماعة صوفية وذلك جائز عندهم . فطلب الحاكم الموما إليه فتوى أحد من السادة الشافعية . فأحضر إلى مجلسه رجلاً من أهل العلم والإفتاء شافعياً . وأخبر الحاكم بجواز ذلك في مذهب الشافعي . فقال يستثنى من ذلك الرقص ، الذي يشبه حركات المخنثين ، فإن ذلك حرام . وإن الإنشاد المشتمل على تنزيه الرب تعالى وتقديسه ، ومدح الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، والترغيب في الجنة والترهيب من النار ، وما يحصل به الشوق المطلوب شرعاً ، كلُّ ذلك جائز .

فأجابه الشخص المنكرِ المذكور بقوله : هذا الذي ذكرته باطل . وقد كفرت بهذه الفتوى وطلقت زوجتك . فهل ما قاله المنكرِ صحيح أو باطل ؟ وهل هو مصيب في إنكاره أو مخطئ ؟ وماذا يترتب عليه في تكفيره هذا الرجل الشافعيَّ بالأحكام الشرعية ؟ وهل يكون بمقالته هذه وإنكاره قادحاً في كثير من أئمة الدين كالشافعي ومالك ونحوهما ؟ وطاعناً على السلف الصالح ومكفراً لكل من قال بجواز ذلك من المتقدمين والمتأخرين من الفقهاء والصوفية وغيرهم ؟ وهل لولاة الأمر رحمهم الله تعالى وعلماء المسلمين وصلحائهم مناقشةُ هذا المنكر على ما قاله ، ومقابلتُه على ما تفوه به من تكفير الرجل العالم المذكور ، وتطليقه زوجته ، فيثابون على ذلك الثواب الجزيل ؟ وما للحاكم السابق في ذلك ؟ فأجاب :

الحمد لله توفيقاً للصواب . ما صدر من هذا المنكر المذكور والمجازف المغرور من تحريم المباح وتكفير أهل العلم والصلاح ، أمرٌ شنيعٌ وقولٌ فظيع لا يصدر مثله من عاقل . ولا يتفوه به لبيب فاضل . لخروجه في ذلك عن القواعد العلمية وعدم رجوعه إلى الضوابط الفقهية . إذ من شرط إنكار المنكرِ معرفةُ مذهب المنكَر عليه لاحتمال أن يكون ذلك الفعل جائزاً لديه . فيصير الإنكار حينئذ منكَراً والقائم به مزدرىً . فلا يسوغ الإنكار في الفروع المختَلَف فيها إلا مع اتحاد المذهبين في فروع الفقه والأصلين ؛ والمعرفة التامة بالحكم الشرعي في تلك الجزئية ، وما يندرج تحته من قاعدة كلية . ليكون المنكرِ على بصيرة والمنكَر عليه في وجوب الامتثال على وتيرة . قال جل وعلا : (هذه سبيلي أدعو الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) . وقال تعالى : (ولا تقْفُ ما ليس لك به علم ... الآية) . فلا يُقدم على النكير إلا عالم نحرير ، متسع الرواية والاطلاع ، عارف بالخلاف ومراتب الإجماع . لاسيما في مسألة السماع ، فإنها دقيقة المغزى ، بعيدة المرمى ، واسعة المجال ، شاسعة المنال ، قد اضطربت فيها أقوال السلف واختلف في تقريرها أئمة الخلف ، حتى عدها بعض العلماء

من المسائل التي هي للآن لم تُحَرَّرْ، وإن كثر البحث فيها وتكرر. وكثيرٌ من العلماء جنح إلى عدم الترجيح ومال إلى التوقف دون تقوية ولا تصحيح. فكيف يقطع بالتحريم، أم كيف يعدل عن حسن الظن والتسليم؟ وكيف يكفِّر من قال بالجواز والإباحة، في مسألة أجال كلُّ عالم فيها قِداحه، ووقف بعد التأمل دون الباحة. فالكافر من كفر بمثل ذلك، ولم يسلك من التحقيق أقوم المسالك. فإنه من كفَّر مسلماً فقد كفر، كما ورد في الأثر، ومن حرَّم الحلال، فقد وقع في الضلال، واستوجب العقوبة والنكال، إذ ليس في القدْر المذكور من السماع ما يحرَّم بنص ولا إجماع، وإنما الخلاف في غير ما عُيِّن، والنزاع في سوى ما بُيِّن. وقد قال بجواز السماع من الصحابة والتابعين خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفير. قال أقضى القضاة الماوردي[١٢٧] رحمه الله تعالى: (اختلف أهل العلم في الغناء، فأباحه قوم وحظره آخرون، وكرهه مالك والشافعي وأبو حنيفة في أصح ما نُقِل عنهم) انتهى كلامه. وقد قال صاحب (تشنيف الأسماع في أحكام السماع)[١٢٨]: (لم يرد عن أبي حنيفة في الغناء نص صريح، وإنما استنبط بعضُ أصحابه القولَ بالمنع من مفهوم كلامه في قوله "ولا يحضر الوليمة وفيها لهو") اهـ. ونقل صاحب (الهداية في شرح البداية)[١٢٩] من الحنفية إباحة الغناء إذا كان يتغنى ليستفيد به تنظيم القوافي، ويصير فصيح اللسان. قال: وقال بعضهم: إذا كان يتغنى لدفع الوحشة عن نفسه فلا بأس به. قال: وبه أخذ شمس الأمة السرخسي[١٣٠]، واستدل عليه بأن أنس بن مالك كان يتغنى في بيته ولا يفعل ذلك تلهياً. ثم قال: ومن يقول بالكراهة مطلقاً يحمل حديث أنس على إنشاد الأشعار المباحة. وجزم صاحب "البدائع"[١٣١] من الحنفية بما ذكر شمس الأئمة، وعلله بأن السماع يرقق القلب، وهذا ظاهر كلام صاحب "الذخيرة"[١٣٢] من

١٢٧- علي بن محمد بن حبيب ٣٦٤ - ٤٥٠ هـ ٩٧٤ - ١٠٥٨ م ولد في البصرة وولي القضاء في عدة بلدان. وتوفي في بغداد. وكان يميل إلى الاعتزال. كان يبيع الماورد. وإليه نسب.

١٢٨- (تشنيف الأسماع) تأليف وجيه الدين عبد الرحمن بن مصطفى العبدروسي المتوفى ١١٩٢ هـ

١٢٩- (الهداية في شرح البداية) تأليف برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي المتوفى ٥٩٣ هـ

١٣٠- محمد بن أحمد بن سهل ٠٠٠ - ٤٨٣ هـ ٠٠٠ - ١٠٩٠ م من سرخس في خراسان. من كبار مجتهدي الحنفية. من كتبه (المبسوط) في الفقه. و (شرح مختصر الطحاوي)

١٣١- هو علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، توفي سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م. وكتابه بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، شرح به تحفة الفقهاء لشيخه علاء الدين السمرقندي.

١٣٢- (ذخيرة الفتاوى) وتعرف بالذخيرة البرهانية تأليف برهان الدين محمود بن أحمد الحنفي. وفاته ٦١٦هـ

الحنفية ؛ وذهب طائفة من الشافعية والمالكية إلى التفرقة بين القليل والكثير ، فأجازوا القليل ومنعوا من الكثير . كما نقله الرافعي وغيره . وذهبت طائفة إلى التفريق بين الرجال والنساء ، فجزموا بتحريمه من النساء الأجانب ، وأجروا الخلاف فيما سوى ذلك .

وأما سماع السادة الصوفية رضي الله عنهم فبمعزل عن هذا الخلاف ، بل ومرتفع عن درجة الإباحة إلى رتبة المستحب ، كما صرح به غير واحد من المحققين . سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام عن السماع الذي يُعمل به في هذا الزمان في مجالس الذكر ؛ فأجاب بما صورته : (سماع ما يحرك الأحوال السنية المذكِّرة للآخرة مندوب إليه) . وقال في " قواعده الكبرى " عند ذكر السماع : (من كان عنده هوىً مباح كعشق زوجته وأمته فسماعه لا بأس به . ومن يدعوه هوىً محرَّمٌ فسماعه حرام . ومن قال لا أجد في نفسي شيئاً من الأقسام فالسماع مكروه في حقه وليس بمحرم) اهـ . فمن جزم بالتحريم والتكفير فقد أخطأ فيما قال ، ووقع في الكفر والضلال ، واستحق العقوبة والنكال . نسأل الله العصمة والتوفيق والهداية إلى أقوم طريق بمَنِّه وكرمه آمين .

٣٦ – مطلب عن رقص الصوفية عند تواجدهم

(هذا نص ما كتبه صاحب الفتاوى الخليلية في مذهب السادة الشافعية وسطره في فتاواه : مطلب في رقص الصوفية عند تواجدهم) .

سئل عن رقص الصوفية عند تواجدهم : هل له أصل؟ أجاب :

(ذكر العلامة ابن حجر رحمه الله تعالى بقوله : نعم له أصل . فقد روي في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له : أشبهت خلقي وخلقي . وذلك من لذة هذا الخطاب . ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم . وقد صح التمايل والرقص في مجالس الذكر والسماع عندجماعة من كبار الأئمة ، منهم شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى) اهـ . فجعل ذلك أصلاً لجواز رقص الصوفية عند ما يجدونه من لذة الوجد في مجالس الذكر والسماع . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض بكى ثلاثمئة عام . فأوحى الله تعالى إليه : ما يبكيك ؟ قال : يارب لست أبكي شوقاً إلى الجنة ولا خوفاً من النار . ولكن أبكي على فراق الملائكة الذين يطوفون على العرش سبعين ألف صفٍّ جُرْدٌ مُرْدٌ يرقصون ويتواجدون . كل واحد منهم قد أخذ بيد صاحبه

يقولون بأعلى صوتهم : من مثلُنا وأنت ربُّنا ؟ من مثلنا وأنت حبيبنا ؟ وذلك دأبهم إلى يوم القيامة . فأوحى الله تعالى إليه أن ارفع رأسك يا آدم فانظر . فرفع رأسه إلى السماء فنظر إلى الملائكة وهم يطيرون حول العرش . فسكن روعُه) . قالت الصوفية نقلد إخواننا في السبب ، وأصحابنا من أهل السماء في المذهب .

ووقع سؤال في مصر المحروسة في سنة خمس ومائة وألف صورته (سئل : ما تقول السادة العلماء رضي الله عنهم في رجل معترض يقول في حق السادة الخلوتية وغيرهم حين يقومون للذكر ويدورون محلقين آخذين بأيدي بعضهم بعضاً ويسمونها "الهُوِيَّةَ" أنهم يكفرون لأنهم يرقصون ويتلاعبون بالذكر ؛ ويُكَفِّرُ من يقول بجواز ذلك . فماذايترتب على هذا الخبيث في إنكاره على هذه الطائفة الفائزة الناجية إن شاء الله ، الذين يجتمعون على تلاوة القرآن العظيم وذكر الله تعالى والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإخراجِه لهم عن دائرة الإسلام ؟ وهل لهؤلاء الطائفة مستند من السنة المطهرة أو من أحد من السلف الصالح أم لا ؟ ومن جملة اعتراضه وشدة افترائه أنه قال لجماعة : اقضوا جميع صلاتكم التي صليتموها خلف من يفعلها أو يقول بجوازها . ومن جملة اعتراضه أيضاً أنه قال : من يقول يا سيد أحمد يا بدوي أو غيره من الأولياء يكفر ، لأنه أشرك مع الباري سبحانه وتعالى غيره ، مع أن قائل هذا إنما يقول بقصد التوسل بالله لقربه من الله تعالى ، مع اعتقاده أن الله تعالى إله واحد لا شريك له . فهل اعتراضه مردود أم لا؟ وهل التوسل بالأنبياء والأولياء جائز في الحياة وبعد الممات أم لا ؟

أجاب :

قال الشيخ الإمام العلامة أبو العز أحمد بن العجمي[١٣٣] الشافعي الوفائي الأزهري : (الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . هذا المعترض لا يُعبَأ باعتراضه ولا يُتابَع في أقواله . وإن اعتقد أن ما عليه هذه الطائفة كفرٌ قد باء به . وعليه أن يجدد إسلامه مع تعزيره وتنكيله لإساءة الأدب وتمويهه . فقد واظب هذه الطائفةَ جملةُ أعلام من مشايخ الإسلام كالعلامة المقدسي والعلامة الشُّرُنْبُلالي[١٣٤] . وحضر مجالسَهم جهابذة حُفّاظ دأبُهم

١٣٣- أحمد بن أحمد بن محمد ١٠١٤ - ١٠٨٦ هـ ١٦٠٥ - ١٦٧٥ م . من المشتغلين بالحديث .

١٣٤- حسن بن عمار بن علي ٩٩٤ - ١٠٦٩ هـ ١٥٨٥ - ١٦٥٩ م مصري حنفي . من كتبه (مراقي الفلاح في شرح نور الإيضاح) توفي في القاهرة .

النقلُ عن الشريعة بأوثق حفاظ. فلهؤلاء الطائفة سندٌ أيُّ سند، وسلفٌ أيُّ سلف، وما يفعلونه ليس برقص إنما هو مجرد دوران. فالرقص الخالي من التكسر والتثني لا حرمة فيه ما لم ينضم إليه محرَّم كآلة ومزمار، واشتمل على تكسر وتثنٍ.

وأمرُه بقضاء الصلوات دليلُ سوء عقيدته. إما لكونه لا يرى صحة الصلاة إلا خلف معصوم، أو اعتقاد كفرهم. هذا كفر والعياذ بالله تعالى. فإن الصلاة صحيحة خلف كل بَرٍّ وفاجر، ولا قضاء، كما لو كان إمامه مُحدِثاً أو ذا نجاسة خفية، وإنما يلزم القضاء إذا كان إمامه كافراً معلناً أو مخفياً.

وقوله: "يا سيدي أحمد أو ياشيخ فلان" ليس من الإشراك لأن القصدَ التوسلُ والاستغاثةُ. قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة). وقد سئل أستاذنا علامة الإسلام حامل لواء الشريعة الغراء على أحسن نظام الشيخ محمد الشَّوْبَري[١٣٥] رحمه الله تعالى عما يفعله السادة الخلوتية من ذكر الله تعالى قائمين، رافعي أصواتِهم بقولهم (هو هو هو) فهل لمن يعرف ذلك، الاعتراضُ عليهم ويدعي أنهم يُمنعون من ذلك؟ (أجاب بأن طريق السادة الخلوتية من أعظم الطرق العرفانية. قصد سلوكَها الكثيرُ من الأئمة الأعلام السادة القادة العظام لتصفية السرائر وتنوير الأفئدة والبصائر، والتخلص من الدعوات النفسانية والتخلق بأخلاق تلك الأسرار العرفانية. فأشرقت - والله - عليهم أنوارُها، ودارت فيهم وبهم وعنهم أسرارُها، فكملوا بالحقيقة بهذه الطريقة، وصاروا هم المشارَ إليهم بالكمال على هذه الحقيقة. فيا لها من موارد ما أعذبها، ومشاهد ما أطيبها. كرع من حياضها العاملون، وتنالوا في مشاهدة أسرارها وما يفعلها إلا العاملون). إلى أن قال: (فلا منعَ ولا إنكار من ذلك ولا اعتراضَ على أهل هذه المسالك).

وفي "حاوي الفتاوي": لخاتمة الحفاظ والمحققين شيخ المحدثين العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى (سئل في جماعة صوفية اجتمعوا في مجلس ذكر، ثم إن شخصاً من الجماعة قام من المجلس ذاكراً فاستمر على ذلك. فهل لأحدٍ زجرُه ومنعُه؟ أجاب - أي السيوطي - لا إنكار عليه. فقد سئل عن هذا السؤال شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني رحمه الله تعالى فأجاب بأنه لا إنكار عليه، وليس لأحد منعه، ويلزمُ المتعديَ بذلك التعزير).

١٣٥- محمد بن أحمد ٩٧٧ - ١٠٦٩ هـ ١٥٧٠ - ١٦٥٩ م. مصري شافعي. توفي في القاهرة. من كتبه (فتاوى) و (حاشية على المواهب اللدنِّيَّة).

وسئل عنه العلامة برهان الدين الأَبْنَاسي رحمه الله تعالى فأجاب بمثل ذلك وزاد أن صاحب الحال مغلوب والمنكِرَ محروم. فالسلامةُ في تسليم حال القوم.

وأجاب بذلك بعض أئمة الحنفية والمالكيةُ، كلهم كتبوا على هذا السؤال بالموافقة من غير مخالفة. وكيف يُنكَرَ على الذاكر قائماً والقيامُ ذكر ؟ وقد قال الله تعالى : (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم). وقالت عائشة رضي الله عنها : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى في كل أحيانه).

وإن انضم إلى هذا القيام رقصٌ أو نحوُهُ فلا إنكار عليهم، فذلك من شدة الشهود بالتواجد، لِما ورد في حديث جعفر بن أبي طالب لما رقص بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له : أشبهت خلقي وخلقي كما تقدم. وقد أجاب العلامة الشيخ سليمان الشيراخيني[١٣٦] رحمه الله تعالى على ذلك بقوله : هؤلاء السادات ذكرهُم مشهور مشهود، ويحضرهم فيه العلماء والفقهاء قرناً بعد قرن من قدم الزمان إلى الآن؛ فهم على حال محمود وطريق بالخير معهود، فمن آذاهم مستحقٌ لما في الحديث القدسي من الوعيد "من آذى لي ولياً فقد أذنته بالحرب". ومن لم يكن ولياً فهو في حمى الأولياء، لحبه لهم ومشيِه على طريقهم. وما رأينا السادة الخلوتية بمصر من السادة الدمرداشية[١٣٧]، والسادةَ الذين هم فرع الأستاذ سيدي كريم الدين الخلوتي[١٣٨] وغيرَهم إلا في غاية من الإتقان، بذكر كلمة الإيمان، والنطق بالاسم الأعظم على وجهه المعظم، مما استنارت به سرائرهم، وزكت به ضمائرهم. فمن نسبهم إلى الكفر فهو الكافر. وصلاتهم في غاية الصحة. فعلى من كفَّرهم أن يراجع إسلامه. وعلى ولي الأمر أن يدفع عن هؤلاء السادة ويكفَّ عنهم ألسنة الجهلة المتكلمين فيهم بغير ما يجوز في حقهم. فمثل هؤلاء السادة المحبين لما اندرس من طريق القوم لا يجوز التكلم عليهم؛ والخوضُ في حقهم، مع ما لهم من الأذكار في الخلوات والجلوات، وما هم عليه من الصيام والقيام. فهم السادة الأعلام، وممن يرحم اللهُ بهم الأنام. ولا عبرة بمن خالفهم فإنه محروم والسلام). انتهى والله أعلم.

١٣٦- لم أقع له على ترجمة.

١٣٧- الدمرداشية نسبة إلى الشيخ دمرداش المحمدي المصري المتوفى عام ٩٣٣ هـ.

١٣٨- أيوب بن أحمد بن أيوب ٩٩٤ - ١٠٧١ هـ ١٥٨٥ - ١٦٦١ م. قرشي حنفي دمشقي. من كبار المتصوفين في عصره. من رسائله (رسالة اليقين).

٣٧ - مطلب : هل يجوز الاعتراض على السادة الصوفية ؟

وكذلك سئل : (هل يجوز الاعتراض على السادة الصوفية فيما يفعلونه في الذكر من رفع الصوت والرقص والهُوِّيَّة والتحلق بذلك أو لا ؟ وهل يجوز التوسل بالأنبياء والأولياء والصلحاء ؟ وهل يجوز الاهتزاز حالةَ الذكر ؟ وهل السماع لهوٌ باطل أو حلال ؟ وهل قول المعترض : الحصير التي يُرقَص عليها لا يُصلَّى عليها حتى تُغسَل ، ونقله عن قاضي خان أنه أصلٌ أو لا ؟ وقولُه إن الرقص والتواجد أحدثه السامري[١٣٩] . وينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد ؟ وهل يُكرَه المشي في الذكر والدوران ؟ وهل قال بعضهم بكفر فاعله ؟ وهل ورد أنه لما رأى صلى الله عليه وسلم رجلاً مشى في حال الذكر وسقط على الأرض وصار كالخشبة ، قال لأصحابه : اذبحوه أو ألقوا عليه هذا العمود . لا أبرح مكاني حتى أجدد إيمانه ؟ وهل له أصل في السنة ؟ وهل ذُكر في كتاب البزازية أن دوران الصوفية في مجلس الذكر لعبٌ وتَشَبُّه بفعل المشركين في أيام كفرهم ؟ وهل قال الطحاوي[١٤٠] "دورانُ الصوفية حرامٌ والحضورُ معهم حرام" ؟ وقال صاحب "جامع الفتاوى" دوران الصوفية حرام ولو استحلوا ذلك كفروا ؟ وقال الطرسوسي[١٤١] "دورانهم رقص أحدثه السامري أو لا ؟ فهل هو حرام ومتشبه بالكفرة الضالين ؟ والمأمول من سيدي أن تتفضلوا علينا بالجواب عن هذه الأسئلة حتى نكون في ذلك على بصيرة ونُزيلَ منا الشك في ذلك لأجل أن ندحض المعترض أثابكم الله الجنة .

١٣٩- ورد الكلام عن السامري في القرآن في سورة طه في الآيات ٨٥ , ٨٧ , ٩٥ . وقد اتفق المفسرون على أن السامري هو الذي جعل بني إسرائيل ينحرفون عن الإيمان . فإن موسى عليه السلام لما ذهب لمناجاة ربه استخلف أخاه هارون عليهم . فقام السامري بجمع الحلي وصنع منها عجلاً عكف بنو إسرائيل على عبادته . وخصوم الصوفية يتهمونهم بأنهم فعلوا في المسلمين فِعْلَ السامري في بني إسرائيل من انحراف بالدين عن وجهه الصحيح . وهي أوجع تهمة توجه إليهم . ومع ذلك فإن الشيخ الذي كرر ذكر هذه التهمة وكرر الإجابة عليها ، لا يبدو كثير الاهتمام بها . فقد أوردها متأخرة في كتابه وساق الرد عليها بسرعة . ولعله يراها - رغم خطورتها - أقلَّ التهم شأناً لوضوح تهافتها .

١٤٠- أحمد بن محمد الأزدي ٢٣٩ - ٣٢١ هـ ٨٥٣ - ٩٣٣ م مصري انتهت إليه رياسة الحنفية في مصر . من كتبه (المختصر) في الفقه و (بيان السنة) .

١٤١- إبراهيم بن علي بن أحمد ٧٢١ - ٧٥٨ هـ ١٣٢١ - ١٣٥٧ م . قاض دمشقي . من كتبه (أنفع الوسائل) ويعرف بالفتاوى الطرسوسية . و (الدرة السنية في شرح الفوائد الفقهية) .

أجاب :

لا شك أن من عارض السادة الصوفية فيما هم فيه من ذكر وعبادة وغيرهما ، إنما مراده إبطال نظام الإسلام . ولا شك أن هذا ابتداعٌ يجب ردُّ من أراده وزجرُه وتنكيله بما يليق بحاله . وإن هذا المعترض لا يخلو إما أن يكون اعتراضه لغرض نفساني ؛ فهذا لا يُنظَر إلى اعتراضه ، ويترتب على أفعاله مقتضاها . وإما أن يكون لحسد أهل الطريق وبغضهم ، فلا يخفى ابتداعُه وضلاله . فإن السادة الصوفية على حق ، وطريقهم مسدَّد مبني على التفويض والتسليم . وقول القائل : إن الذاكرين على تلك الحالة يكفرون ، فإن قال بكفرهم عن تصميم واعتقاد فلا يخفى إثمه بل كفرُه ؛ لأن من كفَّر مسلماً عن اعتقاد بلا تأويلٍ كفر . وإن قال ذلك لِما اشتمل عليه فعلُهم من الرقص والهُوِيَّة فهذا لا يقتضي التأثيمَ فضلاً عن التكفير . فقد صرح أئمتنا بأن الرقص لا حرمة فيه ولا كراهة لِما ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم وقف لعائشة رضي الله عنها يسترها حتى تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون ويزفنون - والزفْنُ الرقص - ، ولأنه مجرد حركات على استقامة أو اعوجاج . نعم إن كان تكسُّرٌ حَرُم . وهم لا يفعلونه بتكسر كما هو مشاهَدٌ منهم . ثم لا يخفى على كل أحد أن الذكر بسائر أنواعه محمودٌ ، سواء كان بتسبيح أو تقديس أو ذكر أو غير ذلك كما ورد في ذلك آيات وأحاديث وآثار جمة) .

واعلم أن الاعتراض على القوم مما يوجب الخذلان ، فيوقع فاعله في واد من الخسران كما نص على ذلك العلامة ابن حجر من أئمتنا . فمن اعترض عليهم يُخشى عليه سوء الخاتمة ، كما وقع لكثير من الناس أنهم مُقِتوا بذلك ولم يفلحوا . (فمن يُرِد الله أن يهديه يشرحْ صدره للإسلام . ومن يرد أن يضله يجعلْ صدره ضيقاً حرجاً) . وأما التوسل بالأنبياء والعلماء فقد نص أئمتنا أنه يجوز التوسل بأهل الخير والصلاح سواء كانوا أحياء أم أمواتاً ، ولا ينكر ذلك إلا من ابتُلِيَ بالخسران وسوء العقيدة نعوذ بالله تعالى من المنكَر ومن سيرته . وأما الاهتزاز في حالة الذكر فمندوبٌ إليه لِما روى الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ أنه وصف الصحابة يوماً فقال : كانوا إذا ذُكِر الله مادوا كما تميد الشجر في اليوم الشديد الريح ، وجرت دموعهم على ثيابهم . قال أهل اللغة : ماد يميد إذا تحرك . ومادت الأغصان تميد تمايلت . قال شيخنا العارف جمال الدين عبد الله بن حسام الدين خليل الأسترابادي البسطامي قدس الله تعالى روحه : (وهذا صريح على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتحركون في الذكر

حركة شديدة يميناً وشمالاً؛ لأنه شبه حركتهم بحركة الشجر يوم الريح. ومن المعلوم أن الشجر في يوم الريح يتحرك حركة شديدة. فثبت مطلقاً إباحةُ الميلان بهذا الأثر.

على أن الرجل غير مؤاخذ بما يتحرك ويقعد ويقوم ويلبث على أي نوع كان، بعد أن لا يكون منهياً عنه. ولم يَرِدْ عنه صلى الله عليه وسلم نهيٌ عن الحركة في الذكر. ولو كان فيها كراهة لبيَّنها لأمته فيما ورد عنه. ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة. وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: اذكروا الله حتى يقولوا مجنون. وفي حديث: اذكروا الله حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون. ومقتضى هذا أن لا يُذكر الله سراً لعدم الإخلاص وإذا جهر فإنما يجهر مراءاة. وقد وصفه الله تعالى بالقلة حيث قال فيهم (ولا يذكرون الله إلا قليلاً) فسرُّهُم بمقتضى النفاق معدوم وجهرُهم قليل. فالإكثار من الجهر محمود عند الله تعالى وعلامة الإيمان. والإقلال منه مذموم وعلامة النفاق.

وأما السماع فهو محمود كما أفتى به أئمة الشافعية وغيرهم، بخلاف السماع الذي يجتمع عليه الفساق بالآلات المنكرة مع الخمر والزنا ونحو ذلك. وأما قوله في الرقص والتواجد: أول من أحدثه أصحاب السامري. فكيف يجوز لمسلم أن يشبه الذاكرين الله كثيراً بالكافرين؟ قال تعالى: (أفنجعل المسلمين كالمجرمين. مالكم كيف تحكمون). وقال: (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون). وأيضاً من يعلم أن أصحاب السامري كانوا يفعلون ذلك؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وحسبنا الله على المعترض ونعم الوكيل.

وأما قوله: (ينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد) نسأل الله تعالى أن يحفظ السلطان ونوابه من وساوس هؤلاء الجهال؛ شياطين الإنس أهل الضلال والإضلال. وكيف يسوغ لهم منعهُم وقد قال الله تعالى: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خِزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم).

وأما قوله: (ويُكرَهُ المشيُ في الذكر والدورانُ وقيل يكفر فاعله) فهذا كلام لا معنى له، ولا له أصل. فإن المشي في الذكر مباح بأن يذكر الله تعالى ماشياً لا مانع منه شرعاً ولا عقلاً. ونقل الحاوي أن ما روي عن سعيد باطل.

وأما قوله فيمن مشى ودار وسقط على الأرض وصار كالخشبة ورآه صلى الله عليه وسلم فقال لأصحابه : "اذبحوه أو ألقوا عليه هذا العمود، لا أبرح من مكاني حتى أجدد إيمانه"، فانظروا ما أجهل هذا الكاذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أتى بما هو مخالف للعقل والنقل. فكيف يجدد إيمانه من إتيانه بذكر الله تعالى الذي هو سبب الإيمان ؟ وكيف ينهى النبي صلى الله عليه وسلم عما جاء به داعياً إليه حتى قال : أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . . الحديث، فكيف يحكم بكفر من قالها ويجدد إيمانه وقد ورد في الحديث عن أسامة بن زيد لما قتَلَ من قال "لا إله إلا الله" في الحرب، واعتذر بأنه قالها خوفاً من السيف. فقال له صلى الله عليه وسلم : هلا شققت عن قلبه ؟ فنسبةُ الأمر بالذبح إليه صلى الله عليه وسلم، وإلقاءِ العمود عليه، أمرٌ شنيع ولا يصح نسبة ذلك إليه صلى الله عليه وسلم لمن يؤمن بالله واليوم الآخر.

وأما قوله : (ذكر في كتاب البزازية أن دوران الصوفية في مجلس الذكر لعب وتشبه بفعل المشركين في أيام كفرهم) فهو كلام لا أصل له. فقد صرح في "البزازية" من كتاب الكراهة والاستحسان بما صورته في "الفتاوى" للقاضي خان (رفع الصوت بالذكر حرام) وقد صح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع قوماً اجتمعوا في مسجد يهللون ويصلون. وأما رفع الصوت بالذكر فجائز كما في الأذان والخطبة.

وأما قوله : (قال الطحاوي : دوران الصوفية حرام والحضور معهم حرام. وقال صاحب "جامع الفتاوى" : دوران الصوفية حرام، ولو استحلوا ذلك كفروا. وقال الطرسوسي : دورانهم رقص أحدثه السامري أولاً فهو لهوٌ حرامٌ بالاتفاق، وتشبه بالكفرة الضالين). فإن أراد بالدوران ما تفعله فقراء الدراويش في طريق المولوية فهو رقص الصوفية وتواجدهم. وقد ذكرنا أنه جائز وله أصل في السنة في رقص جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم : أشبهت خلقي وخلقي. وهلا كان تشبيه الذاكرين الله كثيراً بالملائكة الطائفين حول العرش، وهم سبعون ألف صف جُرْدٌ مُرْدٌ يرقصون ويتواجدون، كلٌّ واحد منهم قد أخذ بيد صاحبه يقولون بأعلى صوتهم : من مثلنا وأنت ربنا ؟ من مثلنا وأنت حبيبنا ؟ وذلك دأبهم إلى يوم القيامة. وتشبيهُ أهل الذكر بهم أولى وأحقُّ من تشبيههم بعُبّاد العجل الكافرين بالله تعالى. وكيف يسوغ لمسلم أن يشبه ذكرَ الله تعالى بكفر الكافرين، ويشبهَ الذاكرين الله كثيراً بالكافرين به سبحانه وتعالى ؟ على أن هذه النقول المذكورة عن الطحاوي، وصاحب جامع الفتاوى وعن الطرسوسي أمور باطلة غير صحيحة. وهي كذب وافتراء على العلماء وأئمة الدين. فإن من يكذب على الله تعالى ورسوله

بتحريم ما لم يحرِّمْه، وبالنهي عن عبادته تعالى بل عن أفضل عباداته، وهو ذكره تعالى ويكذب أيضاً على نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه الكرام، يسهل عليه الكذب على علماء الملة الإسلامية. وعلى فرض صحة النقل عنهم فلعل مرادهم صوفيةٌ مخصوصون في زمانهم، اطلعوا عليهم أنهم يرقصون بالتثني والتكسر كفعل الفسقة في حال الفسق، مع الغناء المناسب لأفعال الفسق. وعلموا أنهم يتخذون ذلك عادة، وإلا فكيف يُتَصورَّ ُممن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحكم بأن الخشوع القلبي بذكر الله تعالى منكر حرام؟ وقد قال الله تعالى: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ... الآية). وقال الله تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم). فإن صاحب الخشوعِ القلبي والوجلِ بذكر الله تعالى قد يغيب عقله عن احترام الناس واعتبار أهل المجلس؛ فيقوم ويدور ويتواجد وربما ينصرع إلى الأرض على حسب قوة استعداده لتحمل الواردات الإلهية عليه. فهو في طاعة وعبادة من غير شبهة عند أحد من عامة أهل الإسلام والإيمان، فضلاً عن غيرهم من العلماء الأعيان. ولا يجوز حمل كلام العلماء على معاني سوء الظن في جميع الصوفية الموجودين في زمانهم، والذين ليسوا بموجودين في زمانهم، ممن هم الآن في هذا الزمان؛ وإلا كانوا يقولون ذكر الله تعالى واجتماع الناس عليه من جميع الصوفية والخشوع فيه في القلب والجوارح؛ وإن أدى ذلك الخشوع إلى غير الأفعال المضبوطة حرامٌ منكر يكفر مستحلُّه. ولو قالوا ذلك لحكمنا بكفرهم وقلنا: إنهم حكموا بتحريم ما هو طاعةٌ بإجماع المسلمين، وهو ذكرُ الله تعالى المأمورُ به في الكتاب والسنة وعليه إجماع الأمة بل عليه اعتقاد جميع الملل، بأن ذكر الله تعالى عبادة وطاعة، خصوصاً في المساجد التي بنيت لذكر الله والصلاة. فلا يمنع الذكر فيها على كل حال.

والحاصل أن أصحاب هذه النقول من الفقهاء إذا أساؤوا ظنونهم في طائفة من الصوفية فحملوا أحوالهم في ذكر الله تعالى على اللهو واللعب، وطعنوا في شأنهم مما يعلمه الله تعالى، لا يلزمنا نحن أن نتبعهم في سوء الظن في كل أهل الذكر في جميع الأزمان، ونرتكبَ هذه المعصية كما ارتكبوها ونعتقدَ أنها طاعة. وقد قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ... الآية). فإن سوء الظن بالمسلم حرام قطعي. والتأويل واجب في أفعاله وأقواله كما قال العلماء.

والسماع عند طائفة الصوفية غير السماع عند الفقهاء من علماء الأحكام الشرعية. فإن طائفة الصوفية قلوبُهم فارغةٌ من سوء الظن في أحد من البرية. والفقهاءُ قلوبُهم مملوءة من سوء الظنون

واتهامِ الناس بما يكون منهم وما لا يكون. ودأبُهُم التنقيبُ على أهل الإسلام والتفتيشُ عليهم في كل حلال وحرام. ويتعللون بأن علومهم لحفظ الأمة من الضلال. فيتسلطون بها على الناس خائفين من ذنوب الناس لا من ذنوب أنفسهم القبيحة الفعال. والله تعالى أعلم بحقائق الأحوال.

ولنا على هذه الأسئلة رسالة اختصرنا هذا الجواب منها. وقد عمل عليها أيضاً رسالةً نفيسةً الشيخُ عبد الغني النابلسي المقدسي[١٤٢]، وقد أجاد وأفاد وأتى بالقصد والمراد، جزاه الله تعالى خيراً. والله تعالى أعلم.

٣٨ – مطلب : فيما اعتاده السادة البسطامية

وكذلك سئل في ما اعتاده السادة البسطامية وغيرهم من السادة الصوفية، كالقادرية والسعدية والصمادية والرفاعية ونحوهم، من حِلَق الذكر والجهر به في المساجد. وقد ورثوا ذلك عن آبائهم وأجدادهم وأشياخهم. وينشدون القصائد الصوفية والأشغال، بالألحان المطربة والأنغام الموسيقية، ويحصل لهم وجد عظيم وحال يُقعدُ ويقيم. فيرفعون أصواتهم بالذكر ويرقصون ويقولون : يا أبا يزيد يا بسطامي، يا عبد القادر يا كيلاني، يا أحمد يا رفاعي. ويقولون : شيء لله يا عبد القادر، ونحو ذلك. فهل ذلك حلال ؟ وهل يجوز الاعتراض عليهم في هذه الأحوال أم كيف الحال ؟

أجاب :

(قد رُفع شبهُ هذا السؤال للعلامة الشيخ خير الدين الحنفي الرملي رحمه الله تعالى وسُطِّرَ في فتاواه فأجاب بما ملخصه : اعلم أولاً أن من القواعد المشهورة التي في كتب الأئمة مقررةٌ مذكورة، أن الأمور بمقاصدها. والشيء الواحد يتصف بالحل والحرمة باعتبار ما قُصِد له. وهي مأخوذة من الحديث الذي رواه الشيخان "إنما الأعمال بالنيات". ومدار غالب أحكام الإسلام عليه). إلى أن قال : (وبعد فإن لله تعالى عباداً إذا قاموا قاموا بالله. وإذا نطقوا نطقوا بالله).

وحقيقةُ ما عليه الصوفية لا ينكرها إلا كل ذي نفس جاهلة غبية. فأما حلق الذكر والجهرُ به في المساجد وإنشادُ القصائد، فقد جاء في الحديث ما اقتضى طلب الجهر نحوُ "وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه". رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

١٤٢- عبد الغني بن إسماعيل ١٠٥٠ • ١١٤٣ هـ ١٦٤١ – ١٧٣١ م متصوف دمشقي توفي فيها.

والذكر في الملأ لا يكون إلا عن جهر . وكذا حلق الذكر وطواف الملائكة بها . وما ورد فيها من الأحاديث فإن ذلك إنما يكون في الجهر بالذكر . وهناك أحوال اقتضت طلبَ الإسرار والجمعَ بينهما بأن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال .

وذكر بعض العلماء أن الجهر أفضل ، لأنه أكثر عملاً ولتعدي فائدته إلى السامعين ويوقظ قلب الذاكر ويطرد النوم ويزيد النشاط . وأما قوله تعالى : (واذكر ربك في نفسك) أُجيب عنه بأنها مكية كآية الإسراء (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) نزلت لئلا يسمعه المشركون فيسبوا القرآن ومن أنزله . فأمر به سداً للذريعة ، كما نهى عن سب الأصنام لذلك .

وقد زاد إلى أن قال : (وأما رفع الصوت بالذكر فجائز) . وفي المسألة للعلماء كلام يتحمل مجلداً .

وأما إنشاد الأشعار في المسجد فلو لم يكن إلا حديث كعب وقصيدته المشهورة وإشارته صلى الله عليه وسلم إلى الخلق أن اسمعوا ، لكفى . وقد ثبت بالنصوص الصحيحة الغناءُ في بيته صلى الله عليه وسلم ، وضربُ الدف في حضرته ، ورقصُ الحبوش في مسجده ، وإنشادُ الشعر بالأصوات الطيبة بين يديه . وكان صلى الله عليه وسلم مع أصحابه مكان المائدة ، يتحلقون حلقة دون حلقة ، فيلتفت إلى هؤلاء وإلى هؤلاء . والأخبار فيما يشهد بهذا كثيرة ، والأثر به مستفيض . وقول العلماء : إنما الشعر كلام . فحسنه حسن وقبيحه قبيح . فما جاز على النثر جاز عليه . وقولهم : يا شيخ عبد القادر فهو نداء . وإذا أضيف إليه "شيء لله" فهو طلب شيء إكراماً لله تعالى . فما الموجب لحرمة ذلك ؟

وأما الرقص ففيه للفقهاء كلام . منهم من منعه ومنهم من لم يمنعه ، حيث وجد اللذة له ، وغلب عليه الوجد . واستدلوا لما وقع لجعفر بن أبي طالب لما قال له عليه الصلاة والسلام : أشبهت خلقي وخلقي . فرقص من لذة هذا الخطاب . ولم ينكر - عليه الصلاة والسلام - عليه . وجُعِلَ ذلك أصلاً بجواز رقص الصوفية عند ما يجدونه من لذة المواجد ومجالس الذكر والسماع . وقد قال بجواز السماع من الصحابة والتابعين خلق كثير وجم غفير . ونقل صاحب البداية في شرح الهداية من الحنفية إباحةَ الغناء إذا كان يتغنى ليستفيد به نظم القوافي ، ويصير فصيح اللسان . وقد كان الإمام أنس بن مالك رحمه الله يتغنى في بيته ولا يفعل ذلك تلهياً ، ولأن السماع يرقق القلب . وسئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام عن السماع الذي يعمل في هذا الزمان في مجلس الذكر ، فأجاب بما صورته "سماع ما يحرك الأحوال السنية المذكرةِ للآخرة مندوبٌ إليه ولا يجوز الاعتراض

على السادة الصوفية ولا الإنكار عليهم. وقد ورد في الأثر "من كفر مسلماً فقد كفر". ومن حرم الحلال فقد وقع في الضلال، واستوجب العقوبة والنكال. والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب.

٣٩ - مطلب: في توجه الصوفية إلى زيارة الأنبياء

وكذلك سئل فيما اعتاده السادة الصوفية من التوجه إلى زيارة الأنبياء والأولياء، وتقبيل ضرائحهم والتوسل والاستغاثة بهم، وهم يذهبون بالأعلام ويدقون طبول الباز[١٤٣] والمزاهر، هل ذلك حرام أم لا؟ وإذا قلتم حرام فما الموجب لحرمته؟

أجاب:

اعلم وفقك الله تعالى أن زيارة القبور مستحبة مطلوبة لغير الأنبياء الكرام؛ فما بالك بخيرة الله من خلقه وصفوته من عباده؟ و لا يمنعها إلا كل شقي بغيض عدو للإسلام مفيض. قال القطب الرباني والعالم الصمداني محيي الدين النووي قدس سره العزيز مع شرح ابن حجر له: (ويندب زيارة القبور التي للمسلم للرجال إجماعاً. وكانت محظورة لقرب عهدهم بالجاهلية. فربما حملهم على ما لا ينبغي. ثم لما استقرت الأمور نُسِخَت وأُمِروا بقوله صلى الله عليه وسلم: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر بالآخرة). وأما النساء فإن الزيارة لغير الأنبياء لهن مكروهة. وقبور الكفار لا تسن زيارتها. قال: يسن للنساء زيارة قبور الأنبياء. وقبره صلى الله عليه وسلم أشد استحباباً. ويسن لهن زيارة الأولياء والعلماء. وتقبيل ضرائحهم غير ممنوع. والتوسل بالأنبياء والأولياء مطلوب محبوب كما عليه السلف والخلف. وجميع الطبول جائزة إلا الدربكة. وهي طبل واسع الرأس ضيق الوسط. فليس شيء من ذلك ممنوع، بل هو مطلوب محرك للقلوب إلى علام الغيوب، لا ينكره إلا كل ملحد مبتدع من أهل الضلال والله أعلم.

٤٠ - مطلب: ما تفعله الصوفية من إعطاء العهود

وكذلك سئل فيما تفعله السادة الصوفية من إعطاء العهود للفقراء وأخذ الفقراء منهم العهد. فهل ذلك حسن مستحب؟

---

١٤٣ - طبول الباز اصطلاح عامي. وهي منسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الملقب بالباز.

أجاب :

أخذ العهد حسن محبوب لأن الشيخ يذكر للمريد كلاماً يعاهده عليه معناه الرجوعُ عن المعاصي والدوامُ على الطاعة . وهذا الدليل أصل أصيل جاءت به الأحاديث منها عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله عصابة من أصحابه : بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف . فمن وفى منكم فأجره على الله . ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة . ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله . إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه) . فبايعناه على ذلك . والله تعالى أعلم .

وكذلك سئل فيما هو معتاد بين السادة الصوفية من إلباس الخرقة من الشيخ لمريده، كأن يُلبسه قباء أو يلف له عمامة بهيئة مختصة به . أو يلبسه دلقاً[١٤٤] ويشده، ويعطيه العهد، ويلقنه الذكر، ويؤدبه ويعلمه طريق الفقراء ونحو ذلك . فهل لذلك دليل ؟ وما معرفة جميع ما ذكر مفصلاً ؟

أجاب :

لا ريب أن التزيي بزي الصالحين مطلوب مرغوب فيه . والذي يظهر أن الغالب على أهل هذا الزمان في لبسهم الخرقة إنما هو للتبرك ممن يلبس منه[١٤٥]، لحسن اعتقاده فيه ليتسم بوسمه، فيكون نظره عليه وخاطره معه، لعل أن يحصل له نفحات دعواته وأوقات قربه من الله تعالى . وربما كان الشيخ ممن له جاه ووجاهة وكلمة نافذة بين الناس، فيتقرب إليه بلبس زيه ليدخل تحت كنفه لأجل مصلحة دنياه . ومنهم من يبلِّغُه ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : من تشبه بقوم فهو منهم . ولا يحب رجل قوماً إلا حشر معهم . ولا يحب الرجل قوماً إلا جعله الله تعالى منهم . والتزيي بزي الصالحين وأهل الخير محبوب مطلوب، كما أن التزيي بزي أهل الشر غير محبوب ولا مطلوب .

٤١ - مطلب : الصوفية وإلباس الخرقة من الشيخ

والأصل في لبس الخرقة ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ليلة أُسْرِيَ بي أخذني جبريل وأدخلني قبة من نور، وأخرج لي صندوقاً مقفولاً ففتحته، وأخرج لي زي

١٤٤- الدلق لباس الصوفية . وهو كلمة فارسية .

١٤٥- (ممن يلبس منه) أي أن المريد يتبرك بالشيخ الذي ألبسه ثياب الصوفية . فهو (يلبس منه) .

الفقراء وألبسني إياه). فلما لبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألبسه لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وأنس بن مالك. ولم تزل الأولياء والصوفية مستمرين على لبسه؛ من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الآن. ولأن الخليفة أو النقيب أو التلميذ إذا شم رائحة الخرقة وجد فيها نفس شيخه الذي يقدمه لباب الله تعالى، ويتذكر برؤيتها نِعَمَ الله تعالى، فيزداد شوقاً إلى الأحوال الشريفة، ويأخذ في الاجتهاد والجد رغبة في الوصول إلى المقامات السنية. ولبس الخرقة إظهارٌ للتصوف، وارتباط بين الشيخ والمريد، وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه. حُكِيَ عن جعفر الخلدي[١٤٦] أنه قال: (دخلت على بعض شيوخي فأعطاني قلنسوة فجعلتها على رأسي، ثم خرجت عن البلد. فجُزْتُ على أجمة قصب. فخرج عليَّ السباع. فكان السباع يتقربون مني ويتذللون. فتحيرت ورجعت إلى أمري، فإذا هم يفعلون ذلك للقلنسوة ويلتمسون بركتها. وثوب الفقراء أزهى ملبساً وأزكى مغرساً وأشرف جلباباً وأكثر عند الله ثواباً، فهو أعظم تاج وضع على الرأس، وأنفع عوذة[١٤٧] يُدفع بها كل بأس. وقد جُعِلَ لها أقوام هم بشروطها قُوّام. ومشايخنا تناقلوها إماماً إماماً ووارثاً وارثاً. تلقوها عن أب وجد. وانتهوا فيها إلى ما حدُّوا لهم من حد[١٤٨]. فرحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

وذكر بعضهم [أنّ] للبس الخرقة شروطاً. منها سترُ عورة الكذب بلسان الصدق، وسترُ عورة الخيانة بثوب الأمانة، ثم بعد ذلك يتزين بزينة الله تعالى من ملابس الأخلاق المحمودة، مثلِ الصمت عما لا يعنيه، وغضِ البصر عما لا يحل إليه النظر، وتفقدِ الجوارح بالورع، وتركِ سوء الظن بالناس، والقناعةِ بأيسر الرزق، وسخاءِ النفس، والتواضع، ولين الكلام، واحتمال الأذى، والصفح عن المسيء، وحسن الأدب، وإقراء الضيف وتفقد المحتاجين، وإفشاءِ السلام، وتجنبِ كثرة الكلام، والتصنع والتشدق وكثرة المجالسة في الأسواق والمشي فيها، ويكثر من الصيام والقيام، ويُغيث اللهفان ويفرج الكرب عن المكروب، ويكثر من زيارة القبور وعيادة المرضى وبذل الصدقات وصحبة أهل الخير، ودوام الذكر والمراقبة وخدمة الفقراء وبذل الصدقات، والدعاء للمؤمنين بظهر الغيب، ونحو ذلك من الفعل المحمود الذي يرضاه الله تعالى.

١٤٦- جعفر بن محمد ٠٠٠ - ٣٤٨ هـ ٠٠٠ - ٩٩٥ م بغدادي متصوف. صحب الجنيد.

١٤٧- العوذُة هي التميمة.

١٤٨- (إلى ما حدُّوا لها من حد) أي ما وضعوا لها من الشروط. فالحد هنا هو الشرط.

وأما تعريف العهد فهو قوله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم. إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ... الآية). ثم يقرأ الفاتحة وسورة الإخلاص ثلاثاً. ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم. ويوصي بالتقوى ونحو ذلك.

وأما أخذ العهد فحسن محبوب لأن الشيخ يذكر للمريد كل ما يعاهده عليه. ومعناه الرجوع عن المعاصي والدوام على الطاعة. وله أصل أصيل جاءت به الأحاديث، منها ما روي عن عبادة بن الصامت، أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله جماعة من أصحابه : (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله تعالى فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه). فبايعناه على ذلك.

وأما تلقين الذكر فحسن محبوب. روى علي بن أبي طالب رضي الله عنه (سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أي الطرق أقربُ إلى الله تعالى وأسهلُها على عباده وأفضلُها عند الله تعالى؟ فقال صلى الله عليه وسلم : يا علي، عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوات. فقال رضي الله عنه : هكذا فضيلة الذكر، وكل الناس ذاكرون. فقال صلى الله عليه وسلم : يا علي. لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول "الله الله". فقال علي كرم الله وجهه : كيف أذكر؟ فقال صلى الله عليه وسلم : اسمع مني ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع. فقال صلى الله عليه وسلم : "لا إله إلا الله" ثلاث مرات مغمضاً عينيه، رافعاً صوته والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع).

وقد ورد في فضل "لا إله إلا الله" والملازمة على الذكر بها عدة أحاديث صحاح وحِسان. روى الإمام أحمد عن يعلى بن شداد قال : (حدثني أبي شداد بن أوس - وعبادةُ بنُ الصامت حاضرٌ وصدَّقه - قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هل فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب. فقلنا : لا يا رسول الله. فأمر بغلق الباب فقال : ارفعوا أيديكم وقولوا "لا إله إلا الله". فرفعنا أيدينا ساعة. ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال : الحمد لله، اللهم بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد. ثم قال صلى الله عليه وسلم : أبشروا، فإن الله عز وجل قد غفر لكم. قال المنذري : إسناده حسن.

وأما الذي يجب على الشيخ في تأديب المريد فهو أن يقبله لله تعالى لا لنفسه. فيعاشره بحكم النصيحة، ويلاحظه بعين الشفقة، ويلاينه بالرفق، فيربيه تربية الوالدة لولدها والوالد الشفوق

الحليم لولده وغلامه. فيأخذه بالأسهل ولا يحمله ما لا طاقة له به. وإذا رأى شيئاً مما يُكرَه في الشرع، وعظه في السر وأدَّبه ونهاه عن المعادة إلى ذلك.

ومن آداب المريد أن لا يتكلم بين يدي شيخه إلا في حال الضرورة؛ وأن لا يُظهر شيئاً من مناقب نفسه بين يديه، ويكون متهيئاً لخدمة شيخه ويحذر من مخالفته، لأن مخالفة الشيخ سم قاتل، فيها مضرة عامة. وعليه الانقياد لالتزام ما يأمره به شيخه من التأديب، فإن وقع منه تقصير في القيام بما أشار إليه شيخه، فالواجب عليه تعريفُ ذلك لشيخه ليرى فيه رأيه، ويدعوله بالتوفيق والتيسير والفلاح.

واعلم أن طريقة الفقراء عشرة أشياء. الأول الذكر. والثاني الطاعة. والثالث الإيثار. والرابع القناعة. والخامس التوحيد. والسادس التوكل. والسابع التسليم. والثامن التأمل. والتاسع الشكر. والعاشر الفكر. فمن اتصف بهذه الصفات يكون فقيراً حقيقة وإلا يكون مدعيَ ذلك زنديقاً.

واعلم وفقك الله تعالى، أن رأس الفقر كلام رب العالمين. وروح الفقر حديث النبي صلى الله عليه وسلم. وجسم الفقر إشارة المشايخ العارفين. وقبلة الفقر الحقيقة. وغُسْل الفقر الطريقة. وصلاة الفقر الشريعة. وأصل الفقر حسن الخلق والمحبة. ومفتاح الفقر الصدق. وثمرة الفقر المعرفة. وكنز الفقر المسكنة. وجوهر الفقر معرفة نفسك. وما من شيء أقرب إليك من نفسك. وإذا كنت لا تعرف القريب فكيف تعرف البعيد؟

ثم اعلموا أيها المريدون الصادقون - وفقنا الله تعالى وإياكم لمرضاته، ورزقنا وإياكم صحبة الصالحين من عباده، وأعاذنا وإياكم من صحبة المنكرين الطاعنين على هذه الطائفة إنه جواد كريم - أنه يجب على المريد الصادق أن لا يصحب ولا يلتفت ولا يصغي إلى المبعدين المطرودين عن الله تعالى الطاعنين في أوليائه المستهزئين بهم لئلا يسقط من عين الله تعالى. فإن هؤلاء القوم - أي الفقراء الصوفية - جلسوا مع الله تعالى على حقيقة الصدق، وإخلاص الوفاء، ومراقبة الأنفاس مع الله تعالى، وقد سلموا قيادهم إليه. وألقوا أنفسهم سُلَّماً بين يديه، تركوا الانتصار لأنفسهم حياءً من ربوبيته واكتفاءً بمعلوميته، فقام لهم بأوفى ما يقومون لأنفسهم، وكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم، والغالب لمن غالبهم كما جاء في الخبر الإلهي (من عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب) أي أعلنته أني محارب له. وقال الشيوخ العارفون قدس الله تعالى أرواحهم: (أقل عقوبة المنكرِ

على الصالحين أن يُحرمَ بركتهم، ويُخشى عليه سوء الخاتمة) والعياذ بالله تعالى. وقال الشيخ شاه بن شجاع الكرماني[١٤٩] رحمه الله تعالى: (ما تعبد المتعبد بأكبر من التحبب إلى أولياء الله تعالى). وقال الشيخ أبو نصر السراج[١٥٠] رحمه الله تعالى: (إن هؤلاء الذين يطعنون على هذه العصابة لا يكون فيهم أحد يرجع إلى دين. وكلهم منسلخون من الدين). أعاذنا الله تعالى وإياكم بفضله وكرمه ورحمته، ووفقنا لما يحب ويرضى. وقال بعضهم:

أتقدح فيمن شرَّف اللهُ قدرَه ... ولا زال مخصوصاً به طيبُ الثنا
رجالٌ لهم حالٌ مع الله صادقٌ ... فلا أنت من ذاك القبيل ولا أنا

٤٢ - خاتمة

اعلموا إخواني أن الإسرار بالذكر وارد، وأن الجهر به وارد. وأيُّ طريق سلكه الشخص فهو على هدىً من ربه. غير أن مدار الأمر على خلوص النية. فإن طرق القوم كثيرة. وكلها موصلة إلى الله تعالى. فالبعض منهم وصل بواسطة الذكر الخفي، وبعضهم وصل بواسطة الذكر الجهري، لكن من غير اعتراض من بعضهم على بعض، لأن الذكر من جملة أركان الطريق عند الخلوتية وعند النقشبندية وعند القادرية وعند الرفاعية وعند السعدية وعند غيرهم من أرباب الطريق. فالطرق وإن تعددت، فالمقصد واحد. ألا ترى أن الكعبة المشرفة ليس لها طريق واحد بل أهل كل جهة يسلكون طريقاً. وتلك الطريق توصلهم إليها. وكذلك مذاهب أهل الاجتهاد. كلها مذاهب توصل الذاهبَ في واحد منها إلى باب الجنة خلافاً لما يفعله بعض مشايخ أهل هذا الزمان. يحجرون على تلامذتهم بمجرد تلقينهم الذكر أن يحضروا أذكار غيرهم، أو أن يأخذوا أوراداً ممن سواهم. فإن ذلك خطأ منهم ومحبة لانفرادهم بالسمعة والصيت دون غيرهم؛ فيطلب كل واحد أن يكون جميعُ فقراء بلده تلامذتَه. وما هكذا الأشياخ الذين كانوا في الزمن الماضي، بل كان كل واحد منهم يعظِّم أخاه في غيبته ويحفظ حرمته. وذلك لفطامهم عن الدعوات على يد أشياخهم. فإن من لم يُفطَم على يد شيخ فمِنْ لازمِه الحسدُ والحظُّ في الأقران حباً للانفراد.

١٤٩- أصله من أولاد ملوك الفرس. صوفي جليل. له رسائل كثيرة. مات قبل ٣٠٠ هـ.

١٥٠- عبد الله بن علي ٠٠٠ - ٣٧٨ هـ ٠٠٠ - ٩٨٨ م. زاهد كان شيخ الصوفية على طريقة أهل السنة. له كتاب (اللُمَع) في التصوف.

واعلموا يا إخواني أنه ليس مقصودُ أشياخ الطريق بجمع المريدين على كلمة واحدة إلا إقامةَ شعائر الدين في دولة الأدب الباطن كما أقيمت في دولة الأمر الظاهر .

والحاصل أن الذكر من حيث هو ، لا يفيد كونُه خفياً ولا يفيد كونُه جهرياً بل من حيث هو منشور الولاية وقوت أرواح أهل الهداية والنارُ المحرقةُ للأغيار . يطرد الشيطان ويرضي الرحمن ويهيج القلب وينور الوجه ويسهل الرزق ويحبط الذنوب ويذهب الأجزاء النابتة من تناول الشبهات أوالحرام . ويورث الرِّيَّ من العطش عند الموت . ويزيل الحسرة والندامة يوم القيامة . نسأل الله أن يجعلنا وأولادنا وذرياتنا وأحبتنا من أهله آمين .

٤٣ - ذكر نسبي الروحي

هذا وإن أساس طرق القوم على تقوى الله العظيم واتباع ما أمر به على لسان نبيه الكريم كما قال عز من قائل : (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) كما أنها متلقاة عن مشايخَ سادات ذوي معارف وكمالاتٍ بطريق التسلسل إلى فخر الكائنات ؛ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات ، بأسانيد مسطورة محفوظة مشهورة . فلذا أحببت أن أذكر نسبي الروحاني تبركاً وتيمناً مؤملاً من الله تعالى بحرمتهم القبولَ إنه أكرم مسؤول .

وأنا الفقير محمد سعيد بلبل قد أخذت العهدَ وتلقنت الذكرَ وجميعَ ما حوته الطريقة السعدية من أوراد وأذكار وأحزاب عن والدي المرحوم الشيخ يحيى بلبل . وأذن لي أن ألقن وأعاهد كما أجازه شيخُه المرشد الكامل المرحوم الشيخ قاسم . وهو آخذٌ هذه الطريقةَ عن الشيخ أسعد . وهو عن والده الشيخ محمد . وهو عن والده الشيخ مصطفى . وهو عن والده وشيخه الشيخ إبراهيم . وهو عن شيخه وأخيه الشيخ إسماعيل . وهما أخذا عن والدهما الشيخ مصطفى سعد الدين الأصفر . وهو عن شيخه ووالده الشيخ محمد . وهو عن شيخه الشيخ الكبير إبراهيم . وهو عن والده الشيخ محمد . وهو عن والده وشيخه الشيخ حسين . وهو عن شيخه ووالده الشيخ حسن . وهو عن شيخه ووالده الشيخ محمد القطب محمد أبي بكر . وهو عن والده وشيخه الشيخ علي الأكحل بن الشيخ محمد الكبير . وهو عن والده وشيخه الشيخ محمد صاحب الطريقة المباركة . وهو عن والده وشيخه الشيخ القطب الرباني والهيكل الصمداني والقنديل النوراني سيدي وأستاذي الشيخ سعد الدين الجباوي قدس الله روحه ونور ضريحه وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته .

وهو عن والده وشيخه الشيخ الكبير الشيخ يونس الشيباني . وهو عن شيخه الشيخ أبي الفضل البغدادي . وهو عن شيخه الشيخ أبي الغزال . وهو عن شيخه الشيخ أبي البركات النساج . وهو عن شيخه الشيخ أبي القاسم الجرجاني . وهو عن شيخه الشيخ أبي عثمان المغربي . وهو عن شيخه الشيخ أبي علي الكاتب . وهو عن شيخه الشيخ الروذباري . وهو عن شيخه الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي . وهو عن خاله السري السقطي . وهو عن شيخه الشيخ معروف الكرخي . وهو عن الإمام علي بن موسى الرضا . وهو عن والده موسى الكاظم . وهو عن الإمام جعفر الصادق . وهو عن والده محمد الباقر . وهو عن والده الإمام زين العابدين علي . وهو عن والده الإمام سيدي الشهيد الحسين رضي الله عنه . وهو عن والده الليث الغالب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وهو عن ابن عمه سيد المخلوقات وحبيب رب العالمين سيدنا أبي القاسم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . وهو عن أمين وحي الله جبريل صلوات الله عليه . وهو عن رب العزة جل جلاله وعز سلطانه وعظم نواله ولا إله غيره تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

اللهم انظمنا في عقد هذا الفريق . واسقنا من رحيق كؤوس التحقيق . وأتمم لنا أنوار السعادة . واختم لنا بالحسنى وزيادة . إنك على ذلك قدير وبالإجابة جدير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

٤٤ - ذكر إجازتي من أهل العلم

وتحدثاً بنعم الله تعالى ، كما أني حزت على إجازة طريقة القوم ، حزت على إجازة أهل العلم من المحدثين والفقهاء الراسخين المتصل إليهم ذلك بالسند المسلسل إلى حضرة أشرف المرسلين والملائكة المقربين . وهذا نص إجازة العالم الفاضل والمحقق الكامل خاتمة المحققين وقدوة العلماء والمفتين ، المفتي بديارنا الحمصية . ألا وهو المرحوم سيدنا ومولانا السيد الحاج محمد خالد أفندي الأتاسي رحمه الله تعالى . آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً وأهله أهِلَّةً وبدوراً. بهم يستضيء التائه في فدافد[١٥١] الأوهام. ويهتدي من ضل في حنادس[١٥٢] الجهالة أو هام. والصلاة والسلام على سيدنا محمد مدينة العلم التي تفجرت منها ينابيع الشرائع والأحكام. وعلى آله وصحبه الذين نصروا دينه القويم. وأحكموا قواعد شريعته الغراء أيَّ إحكام. وعلى التابعين وتابعيهم والأربعة الأئمة المجتهدين ومقلديهم بإحسان إلى يوم الدين ما صحَّ إسنادُ الحديث في القديم والحديث.

أما بعد.

فإن ولدنا القلبي الكهل النجيب الفاضل الأديب الشيخ محمد سعيد أفندي بن الشيخ التقي النقي الصالح الشيخ يحيى أفندي بن المرحوم الشيخ الصوفي الشيخ محمد سعيد أفندي درباس الشهير بالبلبلي، قد نشأ في طاعة الله مثابراً على ما يقربه إلى الله، مكباً على اجتناء ثمرات المعارف والعلوم، واقتناص شوارد منطوقها والمفهوم، حريصاً على حفظ دقائق المسائل الفقهية على مذهب السادة الحنفية، حتى حاز من غُرَرِ دُرَرِ العلوم والفنون ما تنشرح له الصدور. وتَقَرُّ به العيون. وكثيراً ما حضر عليَّ أثناء قراءتي للصحيح المنسوب لسيدي ومولاي رئيس المحدثين أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي قدس الله روحه ونوَّر ضريحه. مع مطالعة شرحيه للعلامتين الجليلتين الإمام العيني والإمام القسطلاني. وذلك في درسي العام في جامع سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه ورضي عنا به.

وقد طلب مني الآن - أسعد الله جَدَّه[١٥٣] وأسعد قصده - أن أُجيزه بجميع مروياتي من فروع وأصول معقولاً ومنقولاً، ظاناً بي لحسن طويته وصفاء سريرته أني لذلك أهلٌ. وما درى أن قيعان[١٥٤] صدري مما ظنه بي محْلٌ. فاعتذرت بأني لست ممن هنالك ولا من فرسان هذه المسالك. فلم يُجْدِهِ

١٥١- الفدافد جمع فدفد وهو الأرض المرتفعة ذات الحصى.

١٥٢- الحنادس جمع: حندس وهو الليل.

١٥٣- الجد هو الحظ والمجد.

١٥٤- القيعان جمع قاع. ويقصد أن مريده الشيخ سعيد يعتقد بعلمه. لكنه، لتواضعه، يرى أنه لا يعرف الكثير فقال إن صدره مَحْلٌ من العلم.

مني الاعتذار سوى الثبات والإصرار. ولما لم ينفعني التعلل بعسى ولعل وأبرم إلا أن يبلغَ بهذا الأمل، أسمعته الطرفين من صحيح البخاري سماع رواية، واجتازه سالكاً في ذلك منهجَ أهل هذا الفن ومجازَه. وهذا بعد أن سمع مني حديث الرحمة المسلسل بالأولية. غير أن أولية سماعه نَسَبية لا حقيقية. ثم بعد ذلك أجبته لبغيته. وأوصلته إلى أمنيته. لعلمي بأنه أهل لأن يُجاز. وجدير بأن يتجرد للتدريس العام وإفادة الخواص والعوام من أهل الإسلام، قائلاً - بعد التوكل على الله جل جلاله والتفويض إليه عمَّ نواله - إنني قد أجزت هذا الفاضل الآنفَ الذكر النيرَ الفكر بجميع ما تجوز لي روايته وتصح عني درايته من معقول ومنقول وحديث وتفسير وفقه وأصول وأدعية وأوراد وأحزاب واردة عن ألسن من هم لله أحباب. وأذنت له بالتدريس العام وبث روح الحكمة في أنفس الخواص والعوام. بشرط ذلك المعتبر عند أهل القلوب والأثر. وهو الإخلاص في العمل وتطهير النفس من شوائب كدورات الرياء الذي هو من أقبح العلل بحق روايتي لذلك عن أشياخي العظام وأساتذتي الكرام وهم بحمد الله كثيرون. فمن أجلِّهم عندي سيدي وولي نعمتي ووالدي المرحوم العلامة الفقيه المحقق السيد الحاج محمد أفندي العطاسي مفتي حمص. ومنهم سيدي وشيخي وعمي العلامة المدقق السيد الشيخ أمين أفندي العطاسي تغمدهما الله تعالى برضوانه. وكلاهما عن والدهما علامة الأقطار السيد الشيخ عبد الستار أفندي العطاسي مفتي حمص. وعن العلامة الكبير السيد محمد أمين عابدين صاحب حاشية (ردّ المحتار على الدر المختار) وغيرهما من المؤلفات النفيسة. وهما عن شيخهما العلامة الكبير المحدث الأثري الشيخ محمد الكزبري. ومن مشايخي أيضاً المرحوم العلامة السري الشيخ أحمد مسلم الكزبري. وهو عن أبيه الفهامة المحدث الشيخ عبد الرحمن الكزبري عن أبيه شيخ الكل الشيخ محمد الكزبري السالف ذكره.

ومن مشايخي أيضاً العالم المدرار الشيخ محمد الجوخدار الدمشقي. وهو عن شيخه العلامة الشهير الشيخ سعيد الحلبي ثم الدمشقي عن الشيخ محمد الكزبري السالف الذكر. وتفاصيل أسانيده رضي الله عنه تطلب من ثَبْت ولده الشيخ عبد الرحمن الكزبري.

ومن مشايخي أيضاً بطريق آخر علامة الأمصار الشيخ محمد سليم العطار وعمه العلامة الزاهد الشيخ بكري أفندي العطار. وكلاهما عن جد الأول ووالد الثاني الشيخ حامد العطار عن أبيه العلامة المحقق الشهير الشهاب أحمد العطار. وتفاصيل أسانيد أحمد العطار تُطلب من ثبت ولده الشيخ حامد العطار.

وأما تفاصيل سند الشيخ سعيد الحلبي فتطلب من ثبت المرحوم العلامة السيد محمد أمين عابدين. فإذا أراد الـمُجازُ شيئاً منها فليرجع إلى تلك الأثبات فإن فيها من الفوائد والغرائب ما يروي الغلات.

هذا. وأوصي المجاز بما أوصي به نفسي الخاطئة من تقوى الله في السر والعلن، والكف عن محارمه ما ظهر منها وما بطن. وأن لا ينساني وأولادي من صالح دعواته في جميع حالاته لاسيما بالوفاة على التوحيد والنجاة يوم الوعيد. والحمد لله أولاً وآخراً. وباطناً وظاهراً. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

حُرِّرَ ضحوة يوم الأربعاء خامس شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وثلاثمئة وألف.

قاله بفمه ورقمه بقلمه خويدم العلماء والفقراء السيد محمد خالد العطاسي مفتي حمص سابقاً غُفِرَ له.

* * *

هذا. ولا يخفى على كل ذي لب وبصيرة، بأن الشرف في العلم والكمال في الحلم. لا يتطهَّر من الرعونات إلا من خالف نفسه في الشهوات. وذكر الله في جميع الحالات.

من لم يخالف النفس والشيطان، لم يتحقق بصفات أهل العرفان.

من لم يكن عبداً للرحمن فهو عبد للشيطان. فانظر أيهما يستحق العبادة لعلك تحظى بالسعادة. وفي هذا القدر كفاية. وإنه يتولى العناية. والحمد لله وكفى. وسلام على عباده الذين اصطفى. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. ورضي الله تبارك وتعالى عن كل الصحابة أجمعين. وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ من تحرير هذه الرسالة في غُرة شهر شعبان المعظم سنة ألف وثلاثمئة وستة وأربعين هجرية. على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية.

فهـارس

أولاً : الموضوعات

آ - المقدمات

الموضوع **الصفحة**

ب - أبحاث الكتاب

ثانياً : أسماء الأعلام الواردة في الكتاب

الاسم	اللقب	الصفحة	الوفاة هـ
١ - إبراهيم بن إبراهيم بن حسن	اللقاني	٣٣	١٠٤١
٢ - إبراهيم بن خالد أبو ثور	أبو ثور	٨٠	٢٤٠
٣ - إبراهيم بن أبي المجد	الدسوقي	٤١	٦٧٦
٤ - إبراهيم بن علي	الطرسوسي	٩١	٧٥٨
٥ - إبراهيم بن محمد بن أحمد	الباجوري	٣٣	١٢٧٧
٦ - إبراهيم بن محمد إسماعيل	الأمير	٣٢	١٢١٣
٧ - إبراهيم بن مسلم	الصمادي	٧٩	١٠٧٣
٨ - إبراهيم بن موسى	الأنباسي	٨٤	٨٠٢
٩ - أحمد بن أحمد	الحرستي	٤٤	١١١٥
١٠ - أحمد بن أحمد	زروق	٧٣	٨٩٩
١١ - أحمد بن أحمد العجمي	العجمي	٨٨	١٠٨٦
١٢ - أحمد بن إسماعيل	الطحطاوي	٣٨	١٢٣١
١٣ - أحمد بن حنبل	ابن حنبل	٤٦	٢٤١
١٤ - أحمد بن سليمان	ابن كمال باشا	٥٦	٩٤٠
١٥ - أحمد بن محمد	الصاوي	٥٩	١٢٤١
١٦ - أحمد بن عبد الله	الحافظ أبو نعيم	٥٥	٤٣٠
١٧ - أحمد بن علي	البدوي أبو العباس	٧٣	٦٧٥
١٨ - أحمد بن عمرو	البزاز	٧٠	٢٩٢
١٩ - أحمد بن محمد	القسطلاني	٣٧	٩٢٣
٢٠ - أحمد بن محمد بن أحمد	القطب الدردير	٤٨	١٢٠١
٢١ - أحمد بن أحمد	السجاعي	٥٢	١١٩٧
٢٢ - أحمد بن محمد	الطحاوي	٩١	٣٢١
٢٣ - إسماعيل ابن أبي بكر	المقري	٥٨	٨٣٧
٢٤ - أيوب بن أحمد	الخلوتي كريم الدين	٩٠	١٠٧١

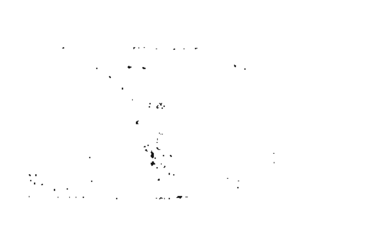
الاســـم	اللقب	الصفحة	الوفاة هـ
٢٥ - أبو بكر	الكتاني	٥٤	٣٢٢
٢٦ - ثوبان بن إبراهيم	ذو النون المصر	٤٤	٢٤٥
٢٧ - جعفر بن محمد	الخلدي	١٠٠	٣٤٨
٢٨ - جمال الدين محمد	أبو المواهب	٥٧	٨٠٠
٢٩ - الجنيد بن محمد أبو القاسم	الجنيد	٦٧	٢٩٧
٣٠ - حسانٰ بن ثابت	ابن ثابت	٦١	٥٤
٣١ - الحسن بن علي	الدقاق أبو علي	٤٣	٤٦٥
٣٢ - حسن بن عمار	الشرنبلالي	٨٨	١٠٦٩
٣٣ - حسن بن منصور	القاضي خان	٣٥	٥٩٢
٣٤ - الحسين بن منصور	الحلاج	٨١	٣٠٩
٣٥ - خير الدين بن أحمد	الرملي	٦٨	١٠٨١
٣٦ - سعد الدين بن مزيد	الجباوي	٨	٥٧٥
٣٧ - سليمان بن أحمد	الطبراني	٧٠	٣٦٠
٣٨ - شاه بن شجاع	الكرماني	١٠٣	قبل ٣٠٠
٣٩ - شعيب بن إسماعيل	الكيالي الإدلبي	٣٥	١١٧٢
٤٠ - شعيب بن الحسن	التلمساني أبو مدين	٤٣	٥٩٤
٤١ - شيرويه بن شهردار	الديلمي	٥٩	٥٠٩
٤٢ - صالح بن عمر	البلقيني	٨٤	٨٦٨
٤٣ - طيفور بن عيسى	البسطامي أبو يزيد	٤١	٢٦١
٤٤ - ظالم بن عمرو	أبو الأسود الدؤلي	٣٧	٦٩
٤٥ - عالم بن علاء	الحنفي	٨٤	٢٨٦
٤٦ - عبد الباقي بن يوسف	الزرقاني	٥٤	١٠٩٩
٤٧ - عبد الجواد بن شعيب	الأنصاري	٣٣	١٠٧٣

الاسم	اللقب	الصفحة	الوفاة هـ
٧٦ - علي بن ميمون	ابن ميمون	٥١	٩١٧
٧٧ - عمرو بن عثمان	المكي أبو طالب	٦٠	٢٩٧
٧٨ - عمر بن محمد	السهروردي	٥٦	٦٣٢
٧٩ - عمر بن مرشد	ابن الفارض	٥٥	٦٣٢
٨٠ - الفُضَيل بن عياض	التميمي	٤٠	١٨٧
٨١ - قاسم بن صلاح الدين	الخاني	٥٠	١١٠٩
٨٢ - محمد بن إسماعيل	البخاري	٣٧	٢٥٦
٨٣ - محمد أمين	ابن عابدين	٣٨	١٢٥٢
٨٤ - محمد بن أحمد	البساطي	٥٧	٨٤٢
٨٥ - محمد بن أحمد	القرطبي	٧٢	٦٧١
٨٦ - محمد بن أحمد	المحلي	٨٠	٨٦٤
٨٧ - محمد بن أحمد	السرخسي	٨٦	٤٨٣
٨٨ - محمد بن أحمد	الشوبري	٨٩	١٠٦٩
٨٩ - محمد بن المنير	السمنودي	٥١	١١٩٩
٩٠ - محمد بن سالم	الحفني	٥١	١١٨١
٩١ - محمد شاكر بن علي	العمري	٤٩	١٢٢٢
٩٢ - محمد بن شهاب الدين	البزازي	٥٩	٨٢٧
٩٣ - محمد بن الطيب	الباقلاني أبو بكر	٤٨	٤٠٣
٩٤ - محمد عبد الرؤوف	المناوي	٤٦	١٠٣١
٩٥ - محمد بن علي	الحكيم الترمذي	٤٤	٣٢٠
٩٦ - محمد بن علي بن خلف	أفضل الدين	٤٤	بعد ٩٠٩
٩٧ - محمد بن عمر بن الحسين	الفخر الرازي	٣٥	٦٠٦
٩٨ - محمد بن قاسم	ابن قاسم	٦٨	٩١٨
٩٩ - محمد بن محمد	ابن الحاج	٤١	٧٣٧
١٠٠ - محمد بن محمد	الغزالي	٥٦	٥٠٥
١٠١ - محمد بن محمد	ابن العماد	٥٦	٨٨٧

ثالثاً : ألقاب الأعلام

اللقب	الاســم	الصفحة	الوفاة هـ
١ - الأخضري	عبد الرحمن بن محمد	٣٤	٩٨٣
٢ - أبو الأسود الدؤلي	ظالم بن عمرو	٣٧	٦٩
٣ - أفضل الدين	محمد علي بن خلف	٤٤	بعد ٩٠٩
٤ - إمام الحرمين	عبد الملك بن عبد الله	٥٦	٤٧٨
٥ - الأمير	إبراهيم بن محمد بن إسماعيل	٣٢	١٢١٣
٦ - الأنباسي	إبراهيم بن موسى	٨٤	٨٠٢
٧ - الأنصاري	عبد الجواد بن شعيب	٣٣	١٠٧٣
٨ - الباجوري	إبراهيم بن محمد بن أحمد	٣٣	١٢٧٧
٩ - الباقلاني	محمد بن الطيب	٤٨	٤٠٣
١٠ - البخاري	محمد بن إسماعيل	٣٧	٢٥٦
١١ - البدوي	أحمد بن علي	٧٣	٦٧٥
١٢ - برهان الدين الحنفي	محمود بن أحمد	١٠٣	٦١٦
١٣ - البزار	أحمد بن عمرو	٧٠	٢٩٢
١٤ - البزازي	محمد بن شهاب الدين	٥٩	٨٢٧
١٥ - البساطي	محمد بن أحمد	٥٧	٨٤٢
١٦ - البسطامي	طيفور بن عيسى أبو يزيد	٤١	٢٦١
١٧ - البكري	مصطفى بن كمال الدين	٣٥	١١٦٢
١٨ - البلتاجي	عبد الرحيم	٧٣	
١٩ - البلقيني	صالح بن عمر	٨٤	٨٦٨
٢٠ - البيضاوي	عبد الله بن عمر	٣٤	٦٨٥
٢١ - التلمساني	شعيب بن الحسن أبو مدين	٤٣	٥٩٤
٢٢ - ابن ثابت	حسان	٦١	٥٤
٢٣ - أبو ثور	إبراهيم بن خالد	٨٠	٢٤٠

رابعاً : مصادر المؤلف



أُخرج هذا الكتاب
في قسم المطبوعات في المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق
وتمت العمليات الفنية في مركز الشريف
وتمت طباعته في دار قتيبة للطباعة والنشر

(طُبع في سورية، أيلول ٢٠٠٢)

من أوائل ما تعيه ذاكرةُ الطفولة (حلقة الذكر) التي كان يقودها عمي المرحوم الشيخ سعد الدين. الزمان مساء كل خميس. والمكان بيتنا الذي يتوسط حي الصفصافة. وهذا الحي يتوسط أحياء مدينة حمص القديمة.

كان لهذه الحلقة غرفة كبيرة تسمى (الزاوية). وهي تقع أمام مدخل البيت. يفصلها عنه جدار خشبي يُغلق بابه فتنفصل الزاوية عن بقية الغرف. وكانت الأنوار تشعشع في الغرفة الزاوية. ويتوهج معها منقل الفحم بالنار والدفء وتسخين القهوة المرة.

كان عمي في النهار يحمِّص القهوة فتفوح رائحتها الحريفةُ في البيت كله. ثم يدقها في جرن خشبي يرنُّ بضربات منتظمة يتحول معها تحضيرُ القهوة إلى حفلة موسيقية إيقاعية.

...

فإذا أقبل المساء، أُغلق الباب الخشبي وفُتح باب البيت على مصراعيه وبدأ الرجال بالتوافد. فإذا اكتمل عددهم، بدأت حلقة الذكر.

...

أول ما يلفت النظر في كتاب الشيخ سعيد أنه عن التصوف عموماً وليس شرحاً للطريقة السعدية التي ينتسب إليها. والكتاب في مجمله دفاع مستميت عن التصوف وطرائق الصوفية في تلقّي العهد تلميذاً عن شيخ وعن إقامة الأذكار في حلقات الذكر. فكأنه ضبطٌ للمراسم ولأصولها وتحديدٌ لقواعدها ومراحلها...

... ثم يدافع عن حلقات الذكر ذائداً عنها استهانةَ المخالفين الذين يصل بهم الأمر إلى حد تكفير أهل التصوف ومؤكداً صحة الرقص والإنشاد. وفي هذا القسم يبلغ دفاع الشيخ عن أحوال الصوفية ذروته في حرارةٍ وقوةٍ تشعان لهيباً. فترتفع النبرة وتسمو اللغة دون أن يخرجه ذلك عن الضبط المنطقي للحكم المستند إلى الدلائل الشرعية. وهذا الضبط المنطقي للحكم هو الذي ينَظِم الكتاب من أوله إلى آخره.

فرحان بلبل

حمص، خريف ٢٠٠١

PIFD 199
ISBN 2-901315-76-3